من المحرر

الواقع الدولي الراهن يؤكد أهمية تنسيق الجهود والإخلاص والتفاني من أجل تصحيح صورة الإسلام والتنسيق بين مختلف الهيئات والمؤسسات والأجهزة التي تتحمل مسؤولية الإعلام عن الإسلام، وعلى رأسها مؤسسة العلماء وذلك في إطار خطة علمية ومنهجية متكاملة تحقق الأهداف المرسومة وتكشف الحقائق الناصعة للإسلام وتعمل على الإقناع والتعريف به. فتصحيح صورة الإسلام في الخارج تستدعى تصحيح الصورة في الداخل، فمهمة العلماء في التصحيح تبدأ من تصحيح واقع الأمة الإسلامية ولا يتم ذلك إلا بتغيير الأحوال وترشيد الأوضاع التي تسهم في إعطاء صورة مشوهة عن الإسلام وحضارته، ولا يستقيم هذا التغيير إلا إذا كان وفقاً للمنهج الرشيد وبالأسلوب القويم وبالعلم والحكمة وسداد الرأي ومضاء العزيمة لأن العالم كله إنما ينظر إلى الإسلام وحضارته من خلال واقع العالم الإسلامي وأحوال المسلمين.

إن تحمل مسؤولية تصحيح صورة الإسلام يحمل على ضرورة استخدام وتوظيف اللغات المختلفة وسيلة وأداة ضرورية لتبليغ الحقائق الإسلامية الصحيحة ورد الشبهات والافتراءات والطعون التي توجه إلى الإسلام دينا وثقافة وحضارة.

محمد توفيق أحمد

الـرؤيـة

ثقافة إسلامية وسطية

الرسـالة

نشر الثقافة الإسلامية وترسيخ الهوية الوطنية من خلال رعاية المساجد والعناية بالقرآن الكريم والتراث الإسلامي وإصدار الفتاوى والبحوث وتنمية العمل الخيري بمنهج وسطي بموارد بشرية متميزة ووفق أحدث النظم التقنية

الضياء
مجلة إسلامية ثقافية اجتماعية تصدر عن دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
العدد ١١٣ أكتوبر - ٢٠٠٩م - ذو القعدة ١٤٣٠هـ

المشرف العام
د. حمد بن الشيخ أحمد الشيباني
المدير العام لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري

رئيس التحرير
سعيد خميس الرحومي

مدير التحرير
يوسف سعد البوسميط

تنفيذي التحرير
محمد توفيق أحمد

هيئة التحرير
يوسف الحمادي
هلال الفيلي
أشرف شبل
بهاء السنهوري
فاطمة أربابي

التصميم والإخراج الفني
جمال الدين حلوم

صف وطباعة
كامل خالد حداد

مصور
خادم حسين

كلمة العدد

حدث علمي بارز

تشهد إمارة دبي في الثامن عشر من أكتوبر القادم افتتاح معرض جايتكس ٢٠٠٩م وهو حدث علمي بارز ومن الأهمية بمكان باعتباره واحدا من أكبر ثلاثة معارض تجارية في العالم ويحفل دائما بعدد من المفاجآت التقنية والإعلانات المهمة لمنتجات وخدمات مبتكرة فالدائرة تشارك في هذا الحدث المهم مع التقدم الهائل الذي تشهده الدولة في مختلف المجالات والنقلة النوعية الكبيرة في مجال الخدمات الالكترونية التي تقوم بتقديمها للجمهور لأنها تولي اهتماما خاصا بتطويرها وفقا لخطتها الاستراتيجية لما تتمتع به من خصوصية دعوية الكترونية ذات تواصل فعال مع الجمهور بمختلف قطاعاته على المستويين الداخلي والخارجي وذلك باستقبالها فتاوى الكترونية من جميع أنحاء العالم وبإمكان المتصفح الدخول إلى قسم الفتاوى ليجد نفسه أمام بنك معرفي هائل وغني بالفتاوى التي تتناول جوانب الحياة اليومية ويتيح للزائر اختيار التصنيف المناسب لحاجته واستعراض الفتاوى المتعددة المعروضة أو يمكنه البحث عن فتوى معينة حسب كلمات متاحة يختارها للحصول على المعلومات من أرشيف الفتاوى كما تشمل الخدمات الالكترونية لموقع الدائرة العمل الخيري في دبي لأن العطاء مكون رئيس من موروث دبي الشعبي والاجتماعي فقد أدرجت الدائرة في موقعها الالكتروني قوائم بأسماء الجمعيات الخيرية المرخصة والرسمية في دبي مع عرض عناوين الاتصال بهذه الجمعيات إلى جانب اشتمال الموقع على خدمة بناء مسجد لأن الدائرة الجهة الوحيدة المخولة بتحديد اتجاه القبلة للمساجد في إمارة دبي وتاليا تخصيص أرض لبنائه من قبل بلدية دبي كما تشمل الخدمات أيضا بلاغ عن صيانة المساجد ونظافتها عبر خدمة الكترونية تسمح لجمهور المصلين بإبلاغها عن أية ملاحظات تتعلق بنظافة بيوت الله وصيانتها مما يتيح لها تحقيق مستوى أعلى من العناية يحقق رضا المصلين وراحتهم وتشتمل الخدمات كذلك على خدمة الاستشارات الأسرية الدينية لإيلاء الدائرة اهتماما كبيرا للأسرة كونها تمثل اللبنة الأساسية في بنية المجتمع المسلم عبر تقديم كافة الاستشارات الدينية والشرعية التي تساعدها على العيش في سعادة وهناء في ظل تعاليم الشريعة السمحاء وتتصف هذه الخدمة بالسرية والخصوصية وتسمح للجمهور الاستماع لآراء العلماء المتخصصين ، وبما أ ن خدمات الدائرة الالكترونية تدخل ضمن منظومة حكومة دبي الالكترونية فإننا نأمل أن تبذل المزيد من الجهد للترويج عن خدمات الدائرة الالكترونية .

د.حمد بن الشيخ أحمد الشيباني
المدير العام لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

14 الأسباب الدينية لتحريم أكل الخنزير

28 كيف نحبب القصص للأطفال

40 علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة

58 الصحة الروحية والبدنية والنفسية

4 الإمام الطبراني رائد العمل الخيري

8 المدير العام للدائرة في لقاء مع الضياء:
خطة استراتيجية إلكترونية طموحة

11 الأسرة في الإسلام

32 قراءة في مخطوط «شفاء الأسقام

34 الإيمان يقين وتفاؤل .. لا عجزٌ وتشاؤم..!!

36 توني بلير: الإسلام دين السلام والقرآن مرشد للإنسانية!!

39 داووا مرضاكم بالصدقة

46 هارون الرشيد الخليفة المفترى عليه

59 من بلاغة سورة الكوثر

54 الجينات الوراثية والحماية الجنائية

63 فتاوى مختارة

64 السحر

18 نشأة المآذن وتطورها المعماري في العصور الإسلامية

في العصور الإسلامية

كانت المساجد الأولى التي بنيت في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعهد خلفائه الراشدين بغير مآذن ثم أضيفت إليها المآذن في بداية العصر الأموي لتكون مكاناً مرتفعاً ينادي منه المؤذنون للصلاة.

تنويه: تعتذر الضياء لفضيلة الدكتور على عبد العزيز سيور عن الخطأ غير المقصود والذي ورد في العدد السابق وتنوه إلى مواصلة سلسلة القرآن في العدد القادم

الإمام الطبراني
رائد العمل الخيري

بقلم: رجاء الخضر - كاتبة وباحثة في الدراسات الإسلامية - محاضرة بالجامعة الإسلامية بالسودان

سمى النبي ﷺ المعاملة ديناً، والمعاملة لابد أن تكون عملاً خيراً، ومن هنا انبثق اهتمام العلماء بالعمل الخيري.. ومن أبرز العلماء الذين اهتموا بالعمل الخيري الإمام الطبراني وقد قدمه لنا الحموي بقوله: (هو الإمام الحافظ سليمان ابن أحمد أبو القاسم الطبراني، أحد الأئمة المعروفين والحفاظ المكثرين، والطلاب الرحالين الجوالين، والمشايخ المعمرين، والمصنفين المحدثين والأثبات المعدلين)[1].

وكان ميلاد الطبراني في ٢٦٠هـ بمدينة طبرية التي زعم البعض أن بها قبر سليمان عليه السلام، وقبر لقمان الحكيم وابنه، وقبر أبي عبيدة عامر بن الجراح وزوجته، وقد جاءت نسبته إليها (طبراني) على غير قياس كنسبة (صنعاني) إلى صنعاء حتى يميز بينه ومن نسب إلى طبرستان.

قال عنه الذهبي: (وأول سماعه في سنة ثلاث وسبعين وارتحل به أبوه وحرص عليه، فإنه كان صاحب حديث... فأول ارتحاله كان سنة خمس وسبعين فبقي في الارتحال ولقي الرجال ستة عشرة عاماً وكتب عمن أقبل وأدبر، وبرع في هذا الشأن وجمع وصنّف وعمّر دهراً طويلاً، وازدحم عليه المحدثون ورحلوا إليه من الأقطار)[2].

فقد أتاح له طول العمر الذي ناهز المائة مع علو الهمة ما لم يتح لغيره فارتحل إلى الشام والحجاز والعراق ومصر واليمن وسمع ورأى من أحوال المسلمين ما لم يره غيره ولعل ذلك مما نبهه لأهمية التكافل والعمل الخيري وجعله من العلماء الرحيمين الذين شهد لهم الناس فقد قال عنه ابن منده: (الطبراني أحد الحفاظ المذكورين)[3]، وقال عنه الشيرازي: (كتبتُ عن الطبراني ثلاث مائة ألف حديث وهو ثقة) [4]، وقال ابن العميد: (ما كنت أظن في الدنيا ألذ من الرئاسة والوزارة التي أنا فيها حتى شاهدت مذاكرة أبي القاسم الطبراني وأبي بكر الجعابي بحضرتي، فكان الطبراني يغلب أبا بكر بكثرة حفظه وكان أبو بكر يغلبه بفطنته وذكائه)[5].

وقد ذاع صيته بمعاجمه الثلاثة الكبيرة التي ألفها على أسماء الصحابة، والأوسط الذي ألفه على أسماء المكثرين من شيوخه، والصغير الذي ألفه في أسماء شيوخه حيث أورد فيه عن كل شيخ من شيوخه حديثاً واحداً.

وقال حاجي خليفة في (كشف الظنون): (ومن تصانيفه تفسير القرآن، وحديث السامعين، ودلائل النبوة، والطوالات في الحديث، وعشرة النساء، وكتاب الأوائل، وكتاب الدعوات، وكتاب الرمي، وكتاب السنة، وكتاب المكارم، وكتاب المناسك، وكتاب النوادر)[6]. وكانت وفاته بأصفهان في سنة ٣٦٠هـ.

الطبراني والعمل الخيري:

تجلى اهتمام الطبراني بالعمل الخيري من خلال تناوله له في كتاب (مكارم الأخلاق) الذي عَدّ فيه العمل الخيري من أبرزها. حيث قال في مقدمة الكتاب: (هذه أبواب في مكارم الأخلاق التي ينال بها المؤمن الشرف في حياته ويرجو فيها النجاة بعد مماته... ينتفع بها من يسمعها إن شاء الله)[٧]

وقد صدّرَ الكتاب ببابين في حسن الخلق والرحمة، ربط في الأول بين تلازم العمل الخيري وحسن الخلق ذاكراً لجملة من الأحاديث في ذلك منها: (أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً)[٨]، قوله ﷺ: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق»[٩]، وقوله: «إن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من خلق حسن»[١٠]، وقوله: «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»[١١].

وأما الباب الثاني فكان في الرحمة والتي من معانيها صدور الخير من الشخص لغيره وأورد فيه جملة من الأحاديث النبوية لاستنهاض نفوس الناس للعمل الخيري والرحمة من معانيها أيضاً القدرة المتعلقة بإيصال الخير كما قال الكرماني(١٢).

والطبراني أراد أن يجعل من العمل الخيري عملاً إيمانياً، وعملاً إنسانياً عاماً، عملاً بحديث النبي ﷺ: «لن تؤمنوا حتى ترحموا، قالوا كلنا رحيم يا رسول الله قال إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة عامة»[١٣]. وصدّر الباب بحديث النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يضع الله الرحمة إلاّ على رحيم، قلنا يا رسول الله كلنا رحيم قال: ليس الذي يرحم نفسه وأهله خاصة، ولكن الذي يرحم المسلمين»[١٤].

وذكر فيه بفضل إيصال الخير إلى الناس ذاكراً قوله ﷺ: «إنما يرحم الله من

هو الإمام الحافظ سليمان ابن أحمد أبو القاسم الطبراني، أحد الأئمة المعروفين والحفاظ المكثرين

أراد أن يجعل من العمل الخيري عملاً إيمانياً، وعملاً إنسانياً عاماً، عملاً بحديث النبي ﷺ: «لن تؤمنوا حتى ترحموا

عباده الرحماء»[١٥] وقوله: «أرحم من في الأرض يرحمك من في السماء»[١٦]، وقوله: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»[١٧]. والأحاديث التي ساقها بناء على المعنى المتقدم تُبشِّر أهل القدرة على إيصال الخير للناس بوصول الخير إليهم من الله سبحانه وتعالى.

وفي أبوابه التالية سرد مفصّل لمن هم في حاجة لإيصال الخير إليهم فسمي باباً (فضل معونة المسلمين والسعي في بوائجهم)، أورد فيه قول النبي ﷺ: «عند الله خزائن الخير والشر، ومفاتيحها الرجال، فطوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير ومغلاقاً للشر، وويل لمن جعله مفتاحاً للشر ومغلاقاً للخير»[١٨]، وقوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[١٩]، وقوله: «من فرج عن أخيه المسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر على أخيه المسلم ستره الله في الدنيا والآخرة والله عز وجل في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»[٢٠]، وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٢١].

وفي باب (إغاثة اللهفان) أورد الطبراني طائفة من الأحاديث منها حديث أبي سعيد الخدري قال: بينما نحن في سفر مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل على راحلة عجفاء، فجعل يُصرف يميناً وشمالاً فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له، حتى ذكر أصناف المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل»[٢٢].

وفي باب (فضل التكفّل بأمر الأرامل) أورد حديث أبي هريرة: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يقوم الليل ويصوم النهار»[٢٣].

وفي باب (فضل التكفل بأمر الأيتام) أورد ثمانية أحاديث صدرها بقول النبي ﷺ: «أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة كهاتين»[٢٤]، كما أورد حديثاً منها في ثواب كافل اليتيم أن رسول الله ﷺ قال: «من ضم يتيماً من أبوين مسلمين حتى يستغني فقد أوجب الله له الجنة البتة»[٢٥].

وساق بعد هذه الأبواب جملة من الأبواب في (فضل تربية المنبوذين والإنفاق عليهم حتى يكبروا) وفي (فضل اصطناع المعروف) و(فضل محاسن الأخلاق) و(فضل شفاعة المسلم لأخيه) وذكر في هذا الباب قول النبي ﷺ: «إذا جاءني طالب حاجة فاشفعوا له لكي تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما يشاء»[٢٦].

أما في باب (فضل إطعام الطعام) فقد أخرج فيه المؤلف ثمانية وثلاثين حديثاً

بوّب لها بقول النبي ﷺ من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه الذي قال فيه: «لما قدم النبي ﷺ انجفل الناس قبله فكنت فيمن خرج فلما نظرت إليه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذّاب، فكان أول ما سمعته يقول: أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وصلّوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[29]، وذكر حديث صهيب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خياركم من أطعم الطعام»[30]، والحديث القدسي الذي يقول الله تعالى فيه: «يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني، قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العزة ؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، ولو عدته لوجدتني عنده ؟ ويقول يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني فيقول: كيف أطعمك وأنت رب العزة ؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلاناً استطعمك فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ ويقول يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني. فيقول: أي رب وكيف أسقيك وأنت رب العزة ؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلاناً استسقاك فلم تسقه ولو سقيته وجدت ذلك عندي»[31].

وختم الطبراني هذه الأبواب في دعوته لعمل الخير والتحفيز عليه (بفضل من كسي أخاه المسلم ثوباً) وأورد فيه حديث أبي أمامة رضي الله عنه والذي أخرجه الحاكم رحمه الله في المستدرك وقال.. أنه حديث تفرد به أمام خراسان عبد الله بن المبارك عن أئمة أهل الشام رضي الله عنهم أجمعين، فآثرت إخراجه ليرغب المسلمون في استعماله، قال: كان عمر بن الخطاب يوماً في جمع من أصحابه، إذا دعا بقميص له جديد فلبسه، فما أحسبه بلغ تراقيه، حتى قال الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في حياتي. ثم قال رأيت رسول الله ﷺ لبس ثوباً جديداً، فقال مثل ما قلت، ثم قال: «والذي نفسي بيده ما من عبد مسلم يلبس ثوباً جديداً ثم يقول ما قلت ثم يعمد إلى سمل من أخلاقه التي وضع فيكسوه إنساناً مسلماً مسكيناً فقيراً لا يكسوه إلاّ لله عز وجل، إلاّ

تجلى اهتمام الطبراني بالعمل الخيري من خلال تناوله له في كتاب (مكارم الأخلاق) الذي عَدّ فيه العمل الخيري من أبرزها

لم يزل في حرز الله، وفي ضمان الله، وفي جوار الله، ما دام عليه سلك واحدٌ حياً أو ميتاً»[32].

والكتاب يضع المؤلف في قائمة شرف علمائنا الأجلاء الذين كانوا رواد العمل الخيري رغم اعتذاره أنه اعتمد فيه الاختصار وإيراد المتون دون سرد طرق الحديث حرصاً على نفع الناس لأنه تضمن دعوة الناس لأبرز وجوه العمل الخيري المشرقة كالسعي في تقديم الخدمات ورفع المعاناة عن عامة الناس وحفظ كرامتهم بوضع ما زاد عن الحاجة في خدمة المجتمع والعناية برعاية الأرامل والأيتام واللقطاء، ودلالة الناس إلى أبواب الرزق والكسب وخدمة المجاهدين والحجاج والصائمين وإطعام الجوعى وكسوة العراة.

إن السيرة الذاتية للعلماء وللعظام فيها الكثير من الرؤى وتذخر بالعديد من المواقف النيرة التي تضيء دروب الحياة والله نسأل أن يجعل من علمائنا وشيوخنا قدوة لسائر الناس في إسداء أعمال الخير.

الهوامش:

(١) معجم البلدان: لياقوت الحموي ٤/ ١٩
(٢) سيرأعلام النبلاء للذهبي ١٦ / ١١٩- ١٢٠
(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ٢ / ٩١٦
(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي ٢ / ٩١٦
(٥) سيرأعلام النبلاء ١٦ / ١٢٤.
(٦) كشف الظنون لحاجي خليفة ٥ / ٣٩٦.
(٧) مكارم الأخلاق للطبراني ٣١١
(٨) أخرجه أحمد ٥ / ٨٩ - ٩٩
(٩) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.
(١٠) أخرجه الحاكم في المستدرك ١ / ١٢١
(١١) أخرجه الترمذي بالرقم ٢٠١٨
(١٢) انظر: فتح الباري ١٠ / ٢٥٤
(١٣) أخرجه الطبراني.
(١٤) أخرجه الطبراني.
(١٥) أخرجه البخاري بالرقم ٧٤٤٨ ومسلم بالرقم ٩٢٣
(١٦) الحاكم في المستدرك ٤ / ٢٤٨
(١٧) أخرجه مسلم بالرقم ٢٣١٩
(١٨) أخرجه ابن ماجة في المقدمة.
(١٩) أخرجه مسلم بالرقم ٢٥٨٥
(٢٠) أخرجه أحمد في المسند ٢ / ٥٠٠ وغيره.
(٢١) أخرجه البخاري بالرقم (٦٠١١) ومسلم بالرقم (٢٥٨٦).
(٢٢) أخرجه مسلم بالرقم (١٧٢٨).
(٢٣) أخرجه البخاري بالرقم (٥٣٥٣) ومسلم بالرقم (٢٩٨٢).
(٢٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بالرقم (١٣٣).
(٢٥) أخرجه أحمد ٤ / ٣٤٤.
(٢٦) أخرجه البخاري بالرقم (١٤٣٢) ومسلم بالرقم (٢٦٢٧).
(٢٧) أخرجه البخاري بالرقم (٢٨٤٣) ومسلم بالرقم (٢٤٥٥).
(٢٨) أخرجه الترمذي بالرقم (٨٠٧).
(٢٩) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣ / ١٣.
(٣٠) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤ / ٢٧٨.
(٣١) أخرجه مسلم بالرقم (٢٥٦٩).

تعال نؤمن ساعة

د. محمود علي عبدالرحمن - محاضر بالجامعة الإسلامية - باكستان

«ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها» هكذا خلق الله سبحانه النفس البشرية، يقول صاحب الإحياء رحمه الله: لا يخلو قلب من القلوب من الأسقام التي لو أهملت لتراكمت وترادفت، والعبد يحتاج إلى تأنق في معرفة علمها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها. وذلك هو المراد بقوله تعالى: «قد أفلح من زكاها» وإهمالها هو المراد بقوله تعالى: «وقد خاب من دساها».

والنفس البشرية تعتريها - أحياناً - بعض التقلبات أخذة بها مداً وجزراً، فتسموا بها تارة وتدنو بها أخرى، ولأن النفس بطبيعتها تجنح دوماً إلى الركون وتميل إلى التنعم بملذاتها الدنيوية، لذا يؤثر فيها سلباً ما تموج به الحياة في هذه الآونة من أفكار وافدة، ووسائل هدامة، وإعلاء لقيمة المال مقابل تهميش لبعض القيم والمثل العليا التي كانت سائدة لعهد قريب.

ولا شك أن القلوب تموت وتحيا، ويزيد إيمانها وينقص، فالقلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياناً، ويالـه من تقلب في زمن طغت فيه فتن كقطع الليل المظلم، والإغـراءات والفتن سبيلها مع القلوب التدرج ثم التصاعد حتى تأخذ بلبابها وتغرقها في حبور المعاصي، فمبدأ الخطوة خطوة من صنع الشيطان أحياناً، ولا تتبعوا خطوات الشيطان وفي الحديث: تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عـوداً عـوداً، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء». رواه مسلم.

فهل إلى معين من سبيل؟ إن الصدق مع النفس ومعرفة حقيقتها هما السبيل؛ فأقرب ما يكون الإنسان إلى الفهم الصحيح لحقائق الحياة وإلى العدل والحق والرحمة حينما يكون صادقاً مع نفسه، يماريها ولا يجاريها، بل يكون لها بالمرصاد ويعاندها، والعلم بأن حياة القلوب الهدى وموتها الضلالة. والعاقل لا يشغله شاغل عن أربع ساعات: ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه، وينصحونه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها بما يحل ويحمل، فإن هذه الساعة عون على الساعات الأخر، فإن استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل كما قال ابن المقفع في الأدب الصغير.

اجلس بنا نؤمن ساعة.. أطلقها الصحابي الجليل معاذ بن جبل. وقالها عبدالله بن رواحة لأبي الدرداء رضي الله عنهما. هكذا كان نهج الرعيل الأول من الصحابة، لسان حال أعظم جيل عفته البشرية، فماذا عسانا فاعلون الآن؟

إن التمسك بتعاليم الإسلام الحنيف وإعلاء قيمه ومبادئه لهما السياج المتين والحصن الحصين وبهما يمكن كبح جماح النفس انحيازاً لباعث الدين وقهراً لباعث الهوى، وإنه لخليق وجدير بكل مسلم أن يطلق هذه الصيحة تزكية للنفوس وإحياء للقلوب، تعال بنا نؤمن ساعة.

والثرثرة والحديث عن الآخرين هما أحد أسباب إفشاء الأسرار، ناهيك عما ينجم عنها من معاص كالغيبة. والنميمة وهما من أشد الذنوب التي نهى المولى سبحانه عنها، وتؤكد إحدى الدراسات الأميركية أن ٥٠٪ من الأحاديث بين الناس تتعلق بالآخرين، كما أن المرأة أكثر قابلية لإفشاء الأسرار من الرجل، حيث ان المرأة تتكلم يومياً بمعدل يصل لضعف كلام الرجل ويزيد. ويعد إفشاء الأسرار جريمة في مختلف الثقافات الشعبية في العالم، ففي بريطانيا يعد من أعظم الخطايا، ويعتبر كقتل الوالد في فرنسا، أما في ألمانيا فيعد كقتل الأطفال بالاستغلال الجسدي.

وهناك من الأسرار مالا يُستغنى فيه عن مطالعة صديق أو استشارة ناصح أمين، وهنا يجب تحري القدرة في اختيار من تودعه السر المؤتمن لكتمانه، فليس كل من كان على الأموال أميناً كان على الأسرار مؤتمناً، والعفة عن الأموال أيسر من العفة عن إذاعة الأسرار، فالرجل قد يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم السر، وإن الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب فإن إذاعة استراح قلبه وسكن خاطره كأنما ألقى عن نفسه حملاً ثقيلاً، كما قال الإمام علي رضي الله عنه.

ومما لا شك فيه أن كتمان الأسرار من أهم عوامل زرع الثقة بين الناس، كما أنها تكسب صاحبها احترام الآخرين له. وقيل: كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال، وكما أنه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها فلا خير في إنسان لا يمسك سره.

إن في حياة كل فرد العديد من الأسرار التي يجب أن يطوي عليها صندوقه الأسود ويحرص أن يظل به السر سراً فلا يبوحه أبداً، يقول عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: القلوب أوعية والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل إنسان مفتاح سره، ولله در من قال:

ومستودعي سراً تضمنت سره

فأودعته من مستقر الحشا قبراً

وما السر في قلبي كميت بحفرة

لأني أرى المدفون ينتظر النشرا

د. حمد الشيباني في لقاء مع الضياء:

خطة استراتيجية إلكترونية طموحة

للنهوض بالأداء

حوار: بهاء الدين السنهوري - أشرف شبل

وضعت دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي خطة إستراتيجية طموحة للنهوض بمستوى أدائها وتطويره على الصعد كافة لتكون الرائدة في مجالات الإرشاد والتوجيه الديني والعمل الخيري على المستويين المحلي والإقليمي وتحقيق رسالتها في نشر الوعي الديني والثقافة الإسلامية وترسيخ الهوية الوطنية من خلال رعاية المساجد والعناية بالقرآن الكريم والتراث الإسلامي وإصدار الفتاوى والبحوث وتنمية العمل الخيري بموارد بشرية متميزة وفقا لأحدث النظم التقنية فهي تأخذ بأساليب التقنية الحديثة لتقديم أفضل الخدمات للمجتمع وذلك من خلال الدور الفعال الذي تضطلع به إدارة تقنية المعلومات في الدائرة، لتسليط مزيد من الضوء على الموضوع التقت **الضياء** بالدكتور حمد بن الشيخ أحمد الشيباني المدير العام للدائرة في هذا الحوار:

شهد موقع الدائرة الالكتروني مؤخرا تطورا ملموسا حتى أصبح من أكثر المواقع تميزا على المستوى العربي فهل لك أن تحدد لنا ماهية الأسباب التي أحدثت ذلك؟

التميز الملحوظ الذي تشهده الدوائر المحلية بإمارة دبي في مختلف المجالات يرجع إلى الرؤية الثاقبة والعقلية المتطورة لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي وذلك بإصداره قرارا بإنشاء دائرة حكومة

دبي الالكترونية تمثل الهدف منها في الاستخدام الأمثل لتكنولوجيا المعلومات لأجل توفير الخدمات الحكومية للموطنين والمقيمين والزوار وقطاع الأعمال والدوائر الحكومية عبر قنوات الكترونية متعددة لتيسير معاملاتهم وبالتالي الإسهام في تيسير سبل بالنسبة الحياة إليهم بشكل عام، وتتجلى الأهمية الاستراتيجية لهذا المفهوم في كونه يهدف إلى ترسيخ مكانة دبي كمركز ريادي في اقتصاد المعرفة وتعمل حكومة دبي الالكترونية بتنسيق مع الهيئات والدوائر التي تقع تحت مظلتها.

وكيف السبيل للحفاظ على ما تحقق من انجازات ؟

انطلاقا من قناعاتنا فإننا نعتقد اعتقادا جازما بأن أساس الارتقاء في مستوى خدماتنا هو العنصر البشري المتميز وقد تمكنت الدائرة من استقطاب أفضل الكفاءات ومن ثم عملت على تطوير وصقل مهاراتهم عن طريق إشراكهم في دورات تدريبية داخل وخارج الدولة في مجالات اختصاصهم وحرصنا على توفير المناخ المناسب الذي تسوده المهنية والاحترافية العالية

الموقع يقدم خدماته لخدمة المتعاملين والزوار على مستوى العالم

بأعلى معايير التعامل الأخوي النابع من التعاليم الإسلامية بين أفراد إدارة تقنية المعلومات لضمان انسيابية العمل والحفاظ على ما تحقق من انجازات ونحن على اتصال دائم بالمسؤولين عن تطوير وتوفير الخدمات الالكترونية في إدارة تقنية المعلومات للاستماع إلى آرائهم وتيسير السبل التي تمكنهم من القيام بواجباتهم على أكمل وجه.

هل لك أن توضح لنا أهم ما تم انجازه من قبل الدائرة في مجال الخدمات الالكترونية ؟

تمكنت الدائرة خلال العام الماضي من الفوز بجائزة أفضل موقع عربي الكتروني بدولة الإمارات العربية المتحدة والمقدمة من قبل (UAE Web Awards) إلى جانب حصولها على المركز الرابع بين دوائر حكومة دبي في تقييم المواقع الالكترونية للعام ٢٠٠٨م وأيضا تصميم صفحة جديدة على موقع الدائرة الالكتروني في شهر رمضان الماضي زارها ما يقارب الستة آلاف زائر استفادوا من الخدمات المقدمة عليها والتي تمثلت في فتاوى رمضانية وأدعية مأثورة وفضائل الصوم ومواقيت الصلاة والاستشارات الدينية مع ذكر بعض الأخطاء الشائعة في شهر الصوم وأحكام العيد وآدابه وحقيبة رمضان وإمساكية الشهر الكريم بالإضافة إلى الأنشطة والفعاليات التي تقدمها الدائرة للجمهور مثل مواعيد المحاضرات والندوات والدورات الدينية وأماكن انعقادها كما تم تنفيذ أربعة عشر برنامجا استفاد منها موظفون من الدائرة وعدد من المترددين والمتعاملين الخارجيين وسجلت الدائرة ارتفاعا في نسبة عدد زوار

الموقع الإلكتروني للدائرة واستخدام خدماته الإلكترونية بلغت ٥٠٪ مقارنة بإحصائية العام ٢٠٠٧م، بالإضافة إلى التعاون مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي عن طريق خدمتي الاستشارات الأسرية والفتاوى بصورة خاصة للطلبة المبتعثين في الخارج.

ما الذي يميز خدمات الدائرة عن غيرها؟

تقدم الدائرة خدمات ذات طبيعة خاصة نسبة لطبيعة عملها تتمثل في الإرشاد والتوعية الدينية والإجراءات التنظيمية المصاحبة لها مثل تقديم خدمة الفتاوى والاستشارات الأسرية ومواقيت الصلاة وخدمة خارطة الوصول إلى المساجد في إمارة دبي إلى جانب الخدمات المتعلقة بطلب التصاريح للدروس والمحاضرات الدينية والندوات.

كان للدائرة مشاركات متميزة في معرض جايتكس خلال السنوات السابقة فماذا عن مشاركتكم هذا العام؟

تشارك الدائرة في معرض جايتكس الخاص بالعام الحالي والذي سوف تبدأ فعالياته في الثامن عشر من أكتوبر القادم وتعتبر المشاركة الثامنة لها في المعرض حيث أنها تخطط لتقديم عرض جديد لخدماتها التي تم تطويرها وتحسينها للإطلاع على كل جديد في المعرض وآخر ما توصلت إليه التكنولوجيا الحديثة بالإضافة إلى تبادل الخبرات ومد جسور التعاون مع كل الجهات ذات الصلة.

استمرار ارتفاع نسبة المتعاملين والزوار بنسبة ٥٠٪ خلال عام واحد

الأسرة في الإسلام

د. محمد أبو الشيخ - مفتي بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري - دبي

لقد حث الإسلام على إنشاء مؤسسة الأسرة بتشريعه الزواج وحث عليه مبيناً أن الزواج سكون للنفس للطرفين وهدوء لها وراحة للجسد وطمأنينة للروح، وامتداد للحياة إلي آخر مطافها.

فالإسلام يعتبر الأسرة هي الخلية الأولى في تكوين المجتمع البشري، واللبنة الأولى في بناء الحياة الاجتماعية. ففيها تحدد المعالم الواضحة لشخصية الإنسان.

وتتكيف اتجاهاته وتظهر ميوله، وتتكشف مواهبه، فالإنسان يولد فيها عجينة طرية يتولاها الوالدان بالتشكيل والتجميل والتطوير، حتى يخرجا منها نموذجاً طيباً إن أحكما الصنع وأجادا التشكيل، أو نموذجاً سيئاً إن قصرا أو أهملا أو شكلاه تشكيلاً على غير أساس متين من المعرفة الدقيقة بالطبائع والغرائز واثر البيئة في السلوك. يقول رسول الله صلى الله علية وسلم في ذلك: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجانه» رواة البخاري عن أبي هريرة.

والأسرة فيها سكن الإنسان وطمأنينة وفيها راحته ومستقره.

قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة). ويقول جل شأن: (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن). ويقول عز من قائل: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع).

هكذا يتحدث القران عن مؤسسة الأسرة في عديد من الآيات وبأساليب مختلفة. حيث تبين الآيات أن طرفي هذه المؤسسة خلقا من نفس واحدة وكأنها شطرات لنفس واحدة، فلا فضل لأحد الشطرين على الأخر في أصل الخلقة، ومن حيث العنصر، وإنما يحصل التفاضل بينهما بأمور خارجية ومقومات أخرى غير ذاتية وصفات مكتسبة إذ يقول الله تعالى في هذا المعنى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث فيها رجلاً كثيراً ونساء) «سورة النساء. الآية: ١». هكذا يحث الإسلام على إنشاء الأسرة لتكون امتداداً للحياة وراحة للطرفين.

الأسرة مصنع هائل جبار ينتج الإبطال ويخرج القادة، ويولد الأكفاء الذين يستطيعون الاضطلاع بمهام الحياة

والأسرة مصنع هائل جبار ينتج الإبطال ويخرج القادة، ويولد الأكفاء الذين يستطيعون الاضطلاع بمهام الحياة، وهي في حقيقتها شركة تعاونية يهم فيها كل فرد بما يستطيع من جهد لتمكينها من أداء رسالتها في خير الفرد والجماعة

على السواء. فكان من أول ما وضع من التشريعات لتنظيم حياة البشر الوصية بالوالدين، فهما رمز الحياة الأسرية وعمودها الفقري، وكان ذلك بعد الأمر بعبادة الله وحده. قال تعالى: (وقضى ربك ألا تعبد إلا إياه وبالوالدين إحساناً) «سورة الإسراء. الآية: ٢٣»

فالأسرة المتعاطفة المتعاونة المتآلفة لبنة صالحة لصرح اجتماعي شامخ، غايته الأولى سعادة البشر في الدنيا والآخرة.

هذه الأسرة لم تكن لتلتقي إلا على دعائم من الرضا والقبول والوفاق النفس والروحي. وعلى أسس تتفق وطبيعة البشر وتكوينهم الثقافي... وعاداتهم... وأخلاقهم... وطبقاتهم الاجتماعية وميولهم وأمزجتهم المختلفة.

لذلك دعانا رسول الله صلى الله علية وسلم أن نختار المرأة التي نبني معها الخلية الأولى للمجتمع... فإن صلحت صلح المجتمع كله... وان فسدت فسد المجتمع كله...

ولم يدع رسول الله صلى الله علية وسلم أمته إلا على بينة من الأمر...

فأوصاهم باختيار الزوجة التي ترغب المرء في نكاحها وبين لهم السبيل إلي ذلك وقال: «إذا خطب أحدكم المرأة، فان استطاع أن ينظر منها ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل». رواه احمد وأبو داود

... ولان ما يدعو الزواج إلي نكاح المرأة يختلف من فرد إلى أخر. لاختلاف الميول والأفكار...

ولأن الأرواح منها ما تأتلف... ومنها ما تختلف... لذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لإتباعه السبيل إلي المفاضلة والتي تدعو الرجل إلي اختيار زوجته، فقال: (... تنكح المرأة لأربع لمالها.... ولحسبها.... ولجمالها.... ولدينها..... فاظفر بذات الدين تربت يداك)....رواه البخاري ومسلم

الأسرة المتعاطفة المتعاونة المتآلفة لبنة صالحة لصرح اجتماعي شامخ، غايته الأولى سعادة البشر في الدنيا والآخرة

وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الرجل إلي اختيار الزوجة ذات الدين إلا لأسباب بينها رسول الله صلى الله علية وسلم في حديث أخر..... وذكر فيه..... أن ما دون الدين وهم زائل.... وظل غير وارف..... وفتنة وغواية وضلال..... فالمال قد يفتن به الرجل ويختار به زوجة قد يكون فيه الخسران المبين.... وقد يكون فيه الفساد والإفساد الخلقي....

ذلك أن وظيفة المال في الإسلام بينتها آيات الله البينات..... وأحاديث الرسول صلى الله علية وسلم..... فهو أولاً وأخيراً مال الله.... ووسيلة لتحقيق غاية.... وليس غاية في ذاته....

فإن جعلنا الوسيلة غاية صارت وبالاً... وهلاكاً.... وخسراناً مبيناً..... والجمال.... قد يختار به الرجل زوجته قد تفتن به المرأة عن زوجها.... وترد به موارد الرذيلة إن لم يكن مع الجمال تربية وخلق ودين وضمير يقظ يصونه ويحميه....

وهو مع هذا ظل زائل.... وعرض له أجل محدود يصير بعده كأن لم يكن.... لهذا حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من سوء العاقبة إن جعلنا المال أو الجمال غاية.... فقال: (لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن..... ولا تزوجهن لا موالهن فعسى أموالهن أن تطغين.... ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء سواء ذات دين أفضل). رواه ابن ماجه.

والرسول صلى الله عليه وسلم وهو يهدينا إلي خير السبل في اختيار الزوجة الصالحة إنما يعني صلاح الأسرة، فالمجتمع.

فالزوجة ذات الدين غرس لا يثمر إلا خيراً..... فهي تعمل زوجها وترعاه في حله وترحاله..... وتحفظه في عرضه وماله، وتربي أولاده على البر والتقوى من منطلق الطاعة لمن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء....

ومن هذا شأنها تؤتى بفضل ربها ثمار إخلاصها بنين وبنات يعرفون حق الله وحق الوالدين وحق المجتمع والإنسانية، ويسهمون في إعلاء كلمة الله في قولهم وفعلهم..... ويلتزمون بما أمرهم به ربهم حتى يلقوه راضين مرضيين بإذنه ومنه.... إن الزوجة الصالحة لهذه المدرسة الأولى التي تستقل هذه القلوب الخضراء وهذه الأرواح الطاهرة.

....وهي التي تخط بقلبها الطاهر.... وقولها الطيب... وسلوكها القويم أول كلمات تهدى الصغير إلى طرق الهدى والصلاح...

وهي التي تزيد زوجها هدى إن رأته يترسم خطا بنية ويلتزم بآيات ربه... وتقومه برقتها... وصفاء سريرتها إن اتبع هواه.... وضل سعيه وأنسته دنياه أمر أخراه...

لذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اختيار الزوجة لحسبها أو لعزها في قومها سراب ووهم باطل، وقال في حديثه:

(من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً... ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا الإدناءة ومن تزوجها لم يرد بها إلا أن يغض بصره... ويحصن فرجه.. أو يصل رحمه.. بارك الله له فيها.. وبارك لها فيه). رواه الطبراني في الأوسط.

كما نظم الإسلام العلاقة بين الشريكين على أساس العدل والتعاون وعلى ضوء هذه القاعدة المتينة: ((ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)).

واختار للإشراف على الأسرة ورقابة سير الأمور فيها من كانت أسهمه في الشركة أكثر، ومؤهلاته القيادية أقوى وأكمل، فقال سبحانه: (وللرجال عليهن درجة) وقال جل شأنه: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) سورة النساء الآية: ٣٤.

وحث على إخلاص الطرفين بعضهما لبعض وعدم تقصير أحد في الواجبات المكلف بها إزاء الآخر، فقال تعالى: (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها) رواه البخاري ومسلم.

وقد نبه الرجل إلى أن رياسته التي تقتضيها طبيعة كل جماعة ليست رياسة استبداد وتحكم. بل هي رياسة شرف تزداد بها التكاليف وتعظم بها المسؤولية، ولا بد فيها من التشاور والتعاون واحترام رأي المرأة عند النظر في المشاكل. قال تعالى في حصن الزوجين: (فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣، بها فذكر التراض والتشاور دليلاً على أن للمرأة رأيها ولها شخصيتها المستقلة في بحث المشاكل وسياسة البيت بعيدة عن الاستبداد والتحكم من أي طرف من الطرفين.

وقد أمر الإسلام بالعمل على الاحتفاظ بروح المودة والمحبة بين الزوجين وذلك بالإخلاص والوفاء والتسامح والعفو والصبر والتحمل والقناعة والرضا، والنظر إلى القيم الأدبية التي تتحقق بها سعادة الأسرة، قال تعالى: (وعاشروهن بالمعروف، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) سورة النساء: الآية ١٩. وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يفرك مؤمن مؤمنة - أي لا يبغضها إن كره منها خلقاً رضى منها خلقاً آخر) رواه مسلم عن أبي هريرة.

وإذا مرت سحابة من أفق الحياة الزوجية عكرت صفوها أرشد الإسلام إلى وجوب التنبه إلى خطرها والعمل على إزاحتها بالطرق السليمة الهادئة والإجراءات المعقولة، مع الاستعانة بذوي الخبرة وأهل الخير في ذلك، ولو تجردت النية من الشوائب، وصدق المتحاكمون في فض النزاع لصفا الجو وعاد الهدوء والاستقرار، قال تعالى: (إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما) سورة النساء، الآية: ١٣٠. والله يبغض بغضاً شديداً أن تنفض الشركة وتحل العقدة لكن لو تعذر التوفيق بعد المحاولات العديدة كان الفراق المؤقت آخر حل، لعل النفوس في فترة العدة تهدأ، ولعل العواطف الجامحة تلين، وندب إلى رجعة عاجلة لاستئناف الحياة الزوجية من جديد.

فإن لم تفد التجربة بالفراق للمرة الثانية وتأزمت الأمور كان لابد من الانفصال ليبحث كل عن جو جديد وعش آخر يسكن إليه، قال تعالى: (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) سورة النساء، الآية: ١٣٠.

فالأسرة في حقيقتها دولة صغيرة، وقوانينها ومهامها صورة مصغرة من قوانين الحكومات ومهامها، والنجاح في قيادة الأسرة مقياس لجدارة الإنسان، وكفايته ونجاحه في الأعمال الأخرى، يصور ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه.

وبعد فهذه نظرة عاجلة على نظام الأسرة في الإسلام وصور مبسطة لأهميتها ورسالتها في الحياة إذا أردنا الإفادة من الأسرة فلتكن عنايتنا بها عناية شاملة كاملة لكل النواحي، ولا يجوز أن يهتم بناحية على حساب الناحية الأخرى، وهي بهذه الرعاية الشاملة للمقومات المادية والأدبية على السواء تكون أصلح نواة وأقوى لبنة وأفضل سلاح تواجه به تحديات الزمن وتضمن النجاة من الهزات العنيفة عند معالجة مثل هذه الموضوعات.

والله وراء القصد وهو يهدي السبيل

الأسباب الدينية

لتحريم أكل الخنزير

كتب: حمدي الحلواني - صحافي مصري عضو مراسلون بلا حدود

التعاليم الإسلامية غنية بالقيم والتوجيهات الداعية للحفاظ على حياة البشر وسلامة صحتهم وكانت جزءاً من الدين، وأمر بها الإسلام قبل أكثر من ١٤٠٠ عام لتجنب الناس مخاطر الأمراض والأوبئة باعتبار ذلك من جانب الاهتمام والعناية بقوة المسلمين وزيادة إنتاجيتهم..

والآن.. تعيش شعوب العالم حالة من الفزع والهلع منذ إعلان منظمة الصحة العالمية اجتياح مرض أنفلونزا الخنازير لعديد من الدول، خاصة الأوروبية، لاسيما أنه يمثل أخطر وباء أصاب العالم من قبل عام ١٩١٨ وقتل مئات الآلاف من البشر.

ويرى المسلمون في هذه الكارثة الصحية آية من آيات الله تعالى في تحقيق حكمته من تحريم تناول لحم الخنزير، وان عدم طاعة الله تعالى فيما أحله وفيما حرمه تجر على البشرية الويلات من أشكال العقاب، خاصة أن الخنزير حيوان دنيء النفس قذر يأكل النجس والطاهر.

مرتع خصب للأمراض والأوبئة

بداية يقول أ.د. كارم غنيم عضو هيئة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة: لقد أثبت العلم الحديث أن الخنزير ومن بين جميع الحيوانات قد أُختص بجرثومة قاتلة لا تموت وأن أحرقت بنار عادية بل يحتاج إلى نسبة مئوية عالية من الحرارة ليبطل مفعولها في الجسد، وتوصل العلماء المحدثون إلى اكتشاف أن الخنزير مرتع خصب لأكثر من ٤٥٠ مرضاً وبائياً، وهو يقوم بدور الوسيط لنقل ٥٧ منها للإنسان فضلاً عن أنه ينقل نحو ٢٧ مرضاً وبائياً إلى الإنسان.

أمراض خطيرة

ويقول ان الله تعالى حرم لحم الخنزير ومنذ الأمد البعيد لنكتشف أن في لحمه ودمه ومعدته دودة شديدة الخطورة وهي «الدودة الشريطية» التي تعيش في فضلات الخنزير - وهو يعود فيأكل فضلاته - على هيئة أكياس إذا أكلها الإنسان تسبب له العديد من الأمراض منها: انطلاق اليرقة إلى خارج جدار المعدة بعد ثقبه ووصولها إلى الدورة الدموية وعن طريقها إلى أي جزء من الجسم وأخطرها القلب والمخ، فالأكياس التي تصل إلى العضلات ينشأ عنها آلام روماتزمية شديدة، وقد تكون هذه العضلات - اللسان أو الحنجرة أو عضلات الصدر أو الفكين أو الأذرع أو الأجل أو عضلات البطن، وينشأ عن تناول لحم الخنزير المليء بالدهون حالات مرضية مختلفة أبرزها: تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم، والذبحة الصدرية، والتهاب المفاصل.. والشريعة الإسلامية تقف موقفاً حاسماً في هذه القضية عندما تحرم أكل لحوم الخنازير انطلاقاً مما ورد بشأنها في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، وبذلك اتفق المسلمون على نجاسة الخنزير وحرمة تناول لحمه في جميع كتب الفقه.

من الخبائث والرجس والنجس

يؤكد الدكتور محمد داود رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة قناة السويس: ان الله تعالى حرم أكل الخنازير وعدها من الخبائث والرجس والنجس وهذا ظاهر في نصوص القرآن الكريم قال تعالى: «إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله» سورة البقرة ١٧٣. وقال تعالى: «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم» سورة المائدة/ ٣. وفي قوله عز وجل: «قل لا أجد فيما أوحي إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير، فإن رجس» سورة الأنعام/ ١٤٥ وكل هذه الآيات القرآنية تحمل تحذيراً شديداً من أكل لحوم الخنازير وتحمل أمراً قاطعاً للمسلم بتجنبها.

الخنزير مرتع خصب لأكثر من ٤٥٠ مرضاً وبائياً ينقل منها للإنسان ٥٧ مرضاً فتاكاً!!

آية من آيات الله وقدرته

ويضيف.. ان الخالق العظيم ما كان ليحرم شيئاً إلا لصالح الإنسان وحمايته حتى من نفسه، فقد خلق الإنسان بفطرة يعلمها، ويعلم مواطن القوة والضعف في طبيعة الجسم البشري ومكوناته، كما يعلم طبائع وخصائص الحيوانات التي أوجدها أيضاً لحكمه لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، ولقد كشف لنا العلم الحديث عن بعض مخاطر تناول لحوم الخنازير حتى حدثت الطاقة الكبرى بظهور مرض إنفلونزا الخنازير، والتي تمثل آية من آيات الله وقدرته على دفع الناس لامتثال أوامره عز وجل..

كارثة صحية.. لماذا؟

أما الدكتور محمد رأفت عثمان عميد كلية الشريعة - الأسبق - بجامعة الأزهر:

فيؤكد أن الكارثة الصحية التي تعيشها شعوب العالم اليوم بفعل مرض إنفلونزا

قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان.. حرم القرآن أكل الخنازير تحريماً قطعياً!!

الخنازير هي نتاج طبيعي لعدم امتثال الناس لأوامر الله عز وجل فيما حلل من الطعام والطيبات وفيما حرم تناوله على الإنسان، فقد سبق القرآن الكريم قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان إلى التحذير والتحريم القطعي لتناول طعام الخنازير في عدة آيات مفصلات فضلاً عن تأكيد السنة النبوية على هذا التحريم في نص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن جابر بن عبدالله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح وهو بمكة: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام» فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «لا هو حرام».

موقف جمهور الفقهاء

ويرصد الدكتور صبري عبدالرءوف أستاذ الفقه بجامعة الأزهر: موقف جمهور الفقهاء في القديم والحديث من لحوم الخنازير، موضحاً أنه من منطلق أن الخنزير حيوان نجس لأكله الجيفة وما في حكمها من النجاسات فقد حرمت السنة النبوية أكله وذلك مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه» وتحريم لحم الخنزير بهذا النص تحريم قاطع لجميع أجزائه..

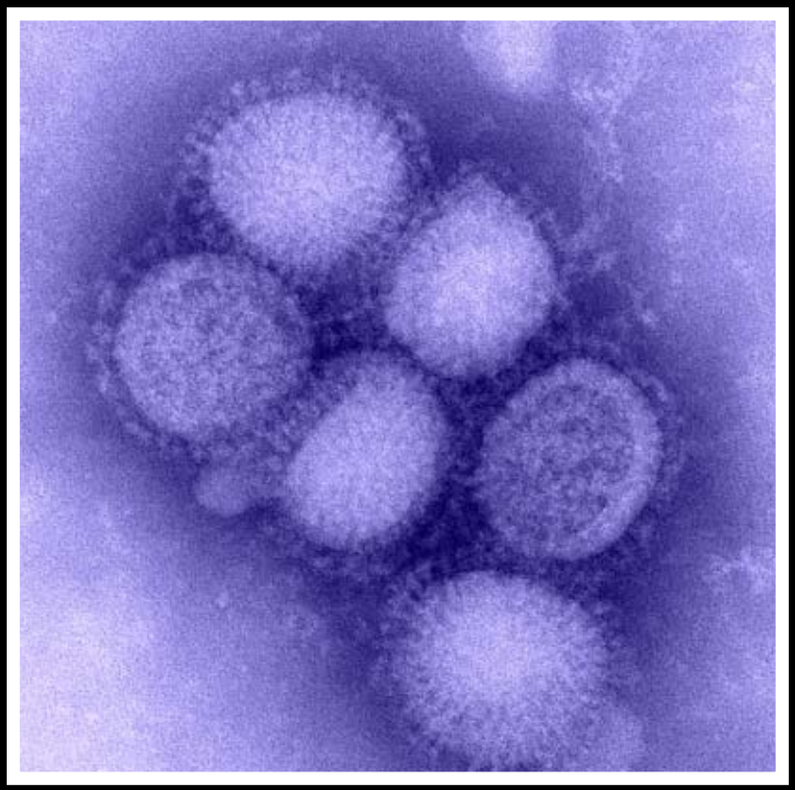

واستعرض آراء جمهور العلماء في هذا السياق، وقال إن مذهب الإمام أبي حنيفة يرى أن نجاسة الخنزير نجاسة لعينه، إلا أن بعض الأصحاب أجازوا استعمال شعره للخراز للضرورة لما روي أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخرازة بشعر الخنازير فقال: «لا بأس بذلك»، وفي مذهب الإمام مالك ان شعر الخنزير يطهر إذا قصى بمقص إلا أنه يستحب غسله للشك في طهارته ونجاسته، وفي مذهب الإمام الشافعي ان ما مس الكلب والخنزير به الماء من أبدانهما نجّسه، وإن لم يكن فيهما قذر، وفي مذهب الإمام أحمد ان الخنزير نجس، وكذا ما تولد منه، وسوّر ذلك وعرق وكل ما خرج منه لا يختلف المذهب فيه، وفي مذهب الإمام ابن حزم قال: أبو محمد: لا يحل أكل شيء من الخنزير، لا لحمه ولا شحمه ولا جلده ولا عصبه، ولا غضروفه ولا حشوته ولا فحه ولا عظمه ولا رأسه ولا أطرافه، ولا لبنه ولا شعره، الذكر والأنثى والصغير والكبير سواء، ولا يحل الانتفاع بشعره لا في خرز ولا في غيره.. حاشا ما أخرجه النص من الجلد إذا دبغ فحل استعماله.

ويخلص الدكتور صبري عبدالرءوف: إلى تأكيد أن هناك إجماعاً من الفقهاء على نجاسة الخنزير، وهذه تقتضي تحريم كل ما ينتفع به منه، وهذا التحريم يتفق مع أمر الله تعالى لعباده بأن يأكلوا من الطيبات كما قال عز وجل في محكم كتابه العزيز «يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم».

قواعد إلهية

وللوقاية من إنفلونزا الخنازير وجميع الأوبئة يقول الدكتور محمد محمد فهمي عميد كلية اللغة العربية سابقاً - جامعة الأزهر:

إذا كان للطب قواعده في الوقاية من جميع الأوبئة فالملاحظ أن جميعها - مشتقة من قواعد إلهية مذكورة في القرآن الكريم، موضحاً أن قواعد طب الأبدان ثلاثة هي: حفظ الصحة، والحماية من الأضرار، والتخلص من المواد الضارة والفاسدة بالجسم، وقد ذكرها الله تعالى في ثلاثة مواضع في كتابه الحكيم فقال تعالى في آية الصوم: «فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر» سورة البقرة / ١٨٤، فأباح الفطر للمسافر وهو سليم طلباً لحفظ صحته وقوته.. وفي آية الحج قال تعالى: «فمن كان مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك».. البقرة / ١٩٦ فأباح لمن به أذى في رأسه أن يحلق في الإحرام، ليتخلص من الأبخرة الرديئة التي أوجبت له الأذى باحتقانها تحت الشعر فإذا حلق رأسه تفتحت المسام وخرجت تلك الأبخرة الفاسدة، وهناك عشرة أشياء يؤدي - انحباسها ومدافعتها إلى الإصابة بمرض من الأمراض وهي: الدم إذا هاج، والمني، والبول، والغائط، والريح، والقيء، والعطاس، والنوم، والجوع، والعطش، وقد أشار المولى سبحانه وتعالى في الآية الكريمة إلى التخلص من أدناها، وهو البخار المحتقن في الرأس، لينبه على ضرورة التخلص مما هو أصعب، كما هي طريقة القرآن في التنبيه بالأدنى على الأعلى..

أما دفع الأذى والضرر فقد بينها الله تعالى في الآية الكريمة: «وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً» النساء / ٧٣ حيث حمى المريض والمسافر والجنب من كل ما يؤذيهم داخلياً وخارجياً فأباح لهم العدول عن الماء إلى التراب في الوضوء أو الغسل.

روشتة وقائية

ويبين الدكتور محمد محمد فهمي:

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم لنا روشتة وقائية حيث أوصانا بالابتعاد عن أماكن الإصابة بالمرض وعدم السفر إلى بلد انتشر فيه المرض فقال صلى الله عليه وسلم: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»، وهذا دليل على جواز رجوع من أراد دخول بلد فعلم أن بها وباء، وهو من قبيل منع إلقاء النفس في التهلكة وسداً للذريعة، بل إن الإصرار على دخول ذلك البلد يعد تعرضاً للبلاء، وهو ما يخالف الشرع والعقل، أما النص عن الخروج من بلد أصابه الوباء فإنه يحمل النفس على الثقة بالله والتوكل عليه وتفويض الأمر له قبل وبعد الاحتراز من الوباء، والصبر والرضا بقضاء الله، كما أنه يوافق ما قاله أئمة الطب: انه يجب على كل محترز من الوباء السكون والدعة، إذا لا يمكن الخروج من أرض الوباء والسفر منها إلا بحركة شديدة مما يساعد على انتشار ذلك الوباء.

ويضيف.. كما وضع الإسلام قيوداً على من كان مرضه معدياً للحد من انتشار العدوى وحصارها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يوردن ممرض على مصح» وحذر من دخول المناطق المصابة فقال عليه السلام: «إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها». والمسلم مطالب بالالتزام بقواعد العزل والحجر الصحي في حالة الوباء امتثالاً لقوله تعالى «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» وتوفيراً لحماية أفراد المجتمع ووقايتهم من الأمراض والأوبئة التي تفتك بحياة البشر.

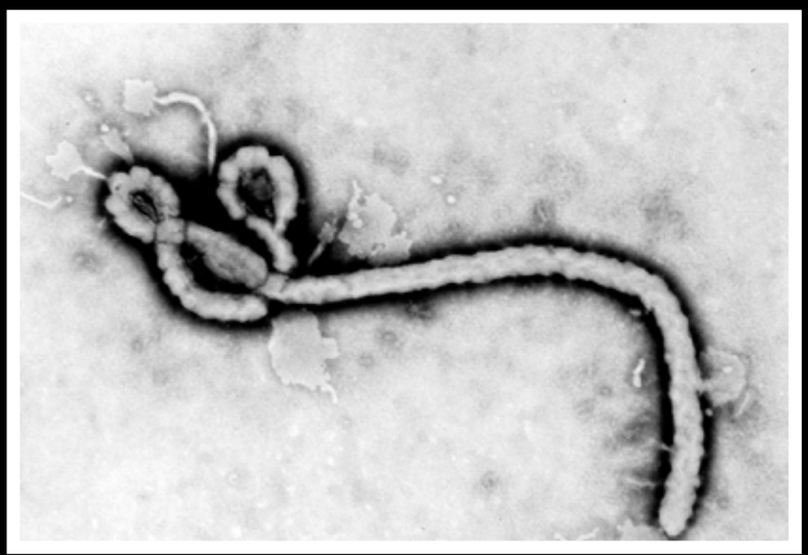

كارثة صحية.. لعدم امتثال الناس لأوامر الله تعالى!!

نشأة المآذن وتطورها المعماري في العصور الإسلامية

أحمد أبو زيد - صحافي وباحث متخصص في التراث الإسلامي

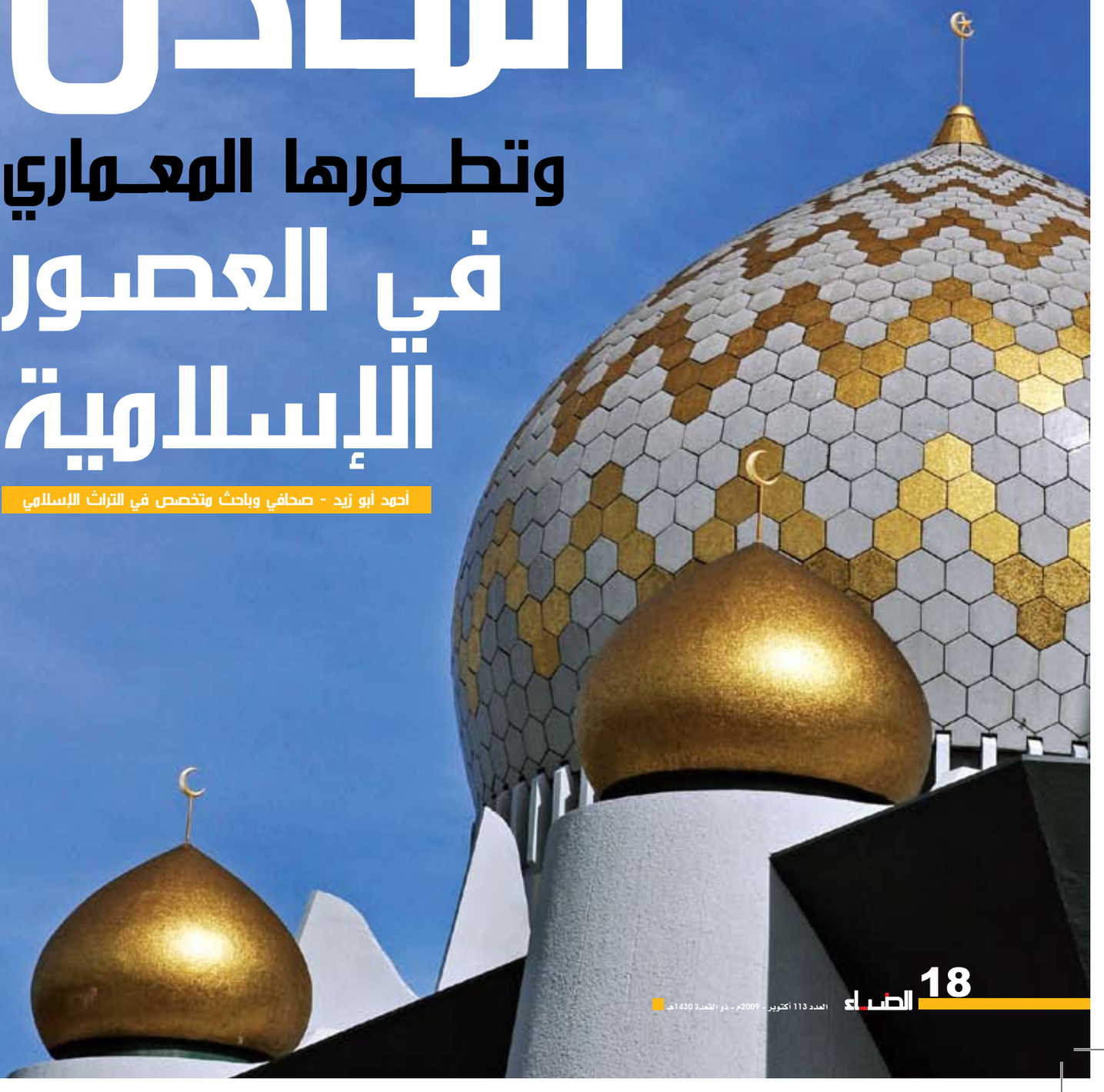

نشأة المآذن وتطورها المعماري:

في العصور الإسلامية

كانت المساجد الأولى التي بنيت في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعهد خلفائه الراشدين بغير مآذن ثم أضيفت إليها المآذن في بداية العصر الأموي لتكون مكاناً مرتفعاً ينادي منه المؤذنون للصلاة.

وقد تفنن المعماريون المسلمون عبر العصور في أشكال المآذن وزخرفتها وتصميمها المعماري حتى أخذت أنماطاً مختلفة حسب البلدان والأزمنة التاريخية، وأصبح لكل إقليم من الأقاليم الإسلامية طراز خاص في المآذن ينسب إليه.

وإذا تتبعنا رحلة الأذان نجد أنه في بدء الدعوة الإسلامية وعقب هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبناء مسجده في المدينة كان الأذان يرفع من صحن المسجد أو من خارج أحد أبوابه، ولكن الحاجة إلى رفع الأذن من مكان عال لإسماع أكبر عدد من سكان المدينة دفعت المسلمين إلى الانتقال بموضع الأذان من مستوى أرض المسجد إلى سطح أعلى المنازل المجاورة ثم إلى سطح المسجد الشريف فيما بعد. فقد كان بلال - كما روي ابن اسحاق وأبو داود والبيهقي - يؤذن للفجر من فوق منزل امرأة من بني النجار لعلوه على ما حوله من المنازل. واستمر الأذان طوال عهد الخلفاء الراشدين يؤدى من فوق سطح المسجد أو من فوق ما يجاوره من المنازل العالية لاسيما وأن المدينة قد عرفت قبل هذا العهد تعدد أدوار المنازل.

وقد اقتدى مسجد دمشق بالمسجد النبوي الشريف في استخدام الأماكن العالية للنداء إلى الصلاة حيث اتخذ المسجد بعد فتح المسلمين لدمشق عام ١٤ هـ بعض الأبراج القريبة منه لرفع الأذان منها.

أول مئذنة في الإسلام

أما التاريخ الحقيق لإلحاق المآذن بالمساجد فكان عام ٤٥هـ في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان حينما أعاد زياد بن أبيه والي العراق بناء مسجد البصرة وألحق به مئذنة من الحجارة كانت على هيئة البرج الذي كان يميز مآذن العصر الأموي وذلك لكي يصعد المؤذن إلى أعلاها فيصل الأذان لأسماع أكبر عدد من الناس، وقد سماها منارة ثم سميت بعد ذلك مئذنة ارتباطاً بالوظيفة التي بنيت من أجلها.. وفي نفس العام جدد زياد مسجد الكوفة واستخدم المنارة في بنائه.

معاوية بن أبي سفيان أول من ألحق المآذن بالمساجد عام ٤٥هـ

مآذن عمرو بن العاص بالقاهرة

وقد تتابع ظهور المآذن في بقية المدن الإسلامية فقام مسلمة بن مخلد والي مصر من قبل معاوية بن أبي سفيان ببناء أربع صوامع (مآذن) في أركان جامع عمرو بن العاص بالقاهرة عام ٥٣ هـ ليلقى منها الأذان ونقش اسمه عليها وأمر بأن يؤذنه المؤذنون منها في وقت واحد لإبلاغ الأذان لأكبر عدد من المسلمين.

وكانت هذه الصوامع مقدمة للمئذنة المصرية الأولى التي أقامها قرة بن شريك في جامع عمرو عام ٩٢هـ حينما هدم الجامع وأعاد بناءه من جديد.

المآذن البرجية في العصر الأموي

وفي العصر الأموي تأصلت فكرة المئذنة وظهرت بأعداد متباينة في أشهر المساجد وخاصة التي جددها الوليد بن عبدالملك ومنها المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة حيث بني فيه أربع مآذن عام ٩١هـ، كما جعل لجامع دمشق مئذنتين هما في الواقع برجان من أبراج المبنى القديم.

وفي عهد سليمان بن عبدالملك ظهرت المآذن في الشمال الإفريقي، حيث بنى بشير بن صفوان والي مدينة القيروان سنة ١٠٥هـ مئذنة لمسجد القيروان لاتزال حتى اليوم تحتفظ بخصائصها المعمارية الأموية.

وقد اتخذت مآذن العصر الأموي شكل الأبراج المحورة كما في جامع دمشق والمسجد النبوي الشريف وجامع عمرو بن العاص وجامع البصرة وجامع عقبة بالقيروان وجامع قرطبة بالأندلس وهو نموذج عم استخدامه في بلدان الخلافة الأموية وخاصة شمال إفريقيا والأندلس.

أنشأ الوليد بن عبدالملك أربع مآذن في المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة عام ٩١هـ

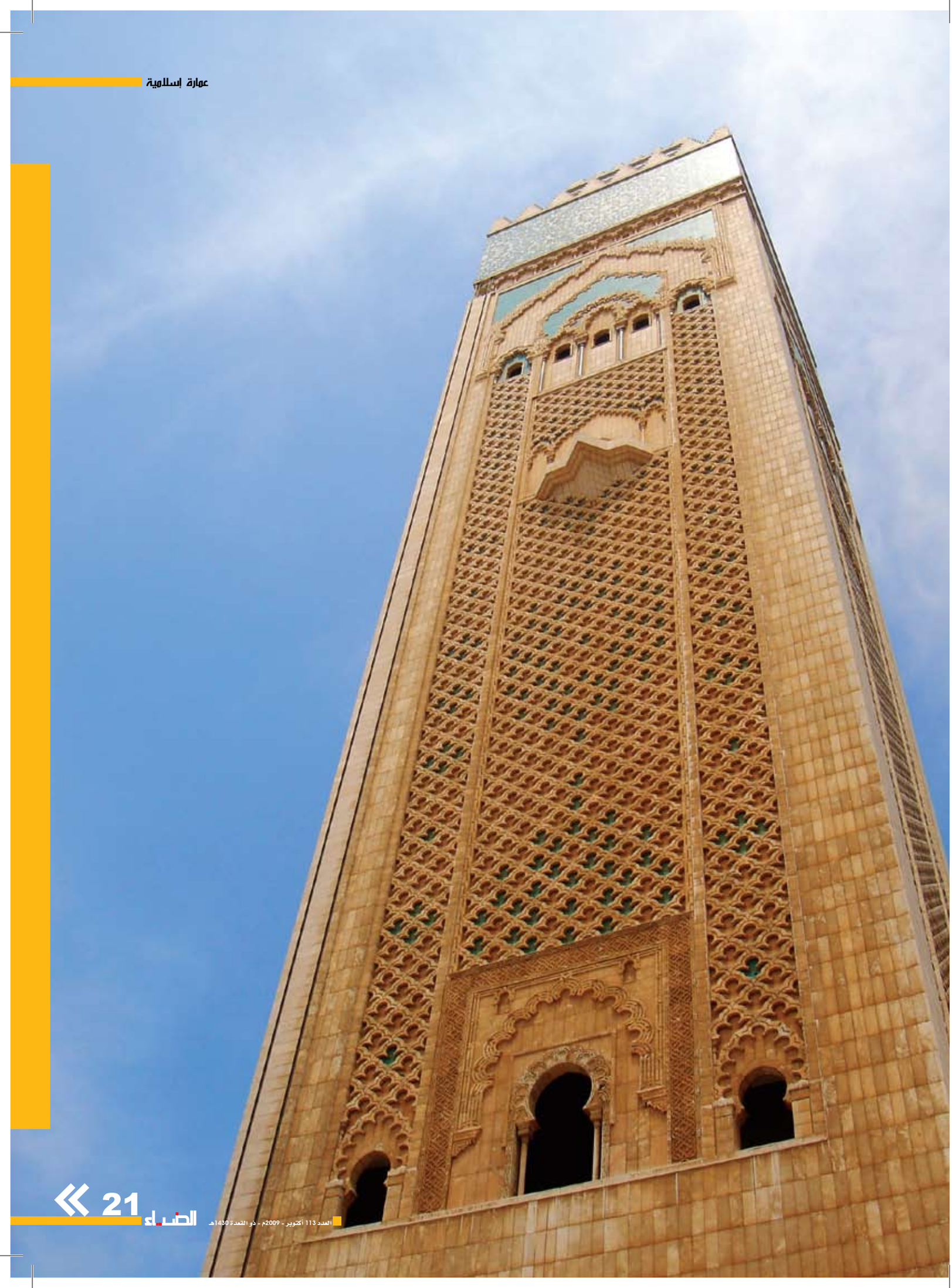

مئذنة جامع القيروان تحتفظ بخصائصها المعمارية الأموية حتى اليوم

المئذنة المملوكية تميزت بالرشاقة والجمال

وتتكون المئذنة فيه من برج مربع، وقد بقي منها حتى الآن نموذجان، الأول في الجامع الأموي بدمشق ممثلاً في الجزء السفلي من المئذنة الجنوبية، والثاني مئذنة جامع القيروان. كما استمر هذا الطراز سائداً في بلاد المغرب العربي حتى الوقت الحاضر فنجده في مئذنة جامع الكتبية في مراكش ومئذنة مسجد حسان بالرباط ومئذنة المسجد الجامع في أشبيلية بالأندلس.

المآذن الحلزونية في العصر العباسي

وفي العصر العباسي بدأت المآذن تأخذ طرازاً آخر غير مثيله في العصر الأموي حيث أدى بناء المساجد على مساحات كبيرة إلى ظهور المآذن الحلزونية ذات الأحجام الكبيرة والتي يصعد إليها بواسطة درج يحيط بها من الخارج وأشهر هذه المآذن مئذنة مسجد سامراء بالعراق والذي بناه المتوكل العباسي وتبلغ مساحته ٢٤٠×١٥٦ متراً، ومئذنته الشهيرة مبنية على قاعدة مربعة طول ضلعها ٣٣ متراً وارتفاعها ٥٠ متراً.

كما يوجد هذا النموذج للمآذن الحلزونية أو الملتوية في جامع أبي دلف بالجعفرية والذي بناه المتوكل أيضاً عام ٢٤٥ هـ على مساحة ٢٢٠×١٤٠ متراً.

مئذنة جامع ابن طولون

وفي مصر يوجد نموذج لهذه المآذن الملتوية التي بنيت في العصر العباسي وهي مئذنة جامع أحمد بن طولون بالقاهرة الذي

بناه ابن طولون في مدينة القطائع عام ٢٦٤هـ ولكن هذه المئذنة ذات حجم أقل من مئذنة جامع سامراء الضخمة، وهي تعد مئذنة فريدة من حيث نوعها وطرازها في العالم بعد مئذنة سامراء بالعراق، كما تعد المئذنة الوحيدة في مصر من هذا الطراز الملتوي ذي المصعد الخارجي الذي يدور حول بدنها حتى أعلاها.

وقد اختفى طراز المآذن الملتوية أو الحلزونية في أوائل العصر العباسي الثاني. ومع استقلال بعض الدويلات عن الخلافة العباسية بدأ يظهر للمئذنة طرز إقليمية فتميزت المآذن في العمارة السلجوقية بالشكل الاسطواني الدقيق والمقسم بعدد من الشرفات والمنتهي بشكل

عرف العصر العباسي المآذن الملتوية ذات السلم الخارجي كما في مسجد سامراء بالعراق وجامع أحمد بن طولون بالقاهرة

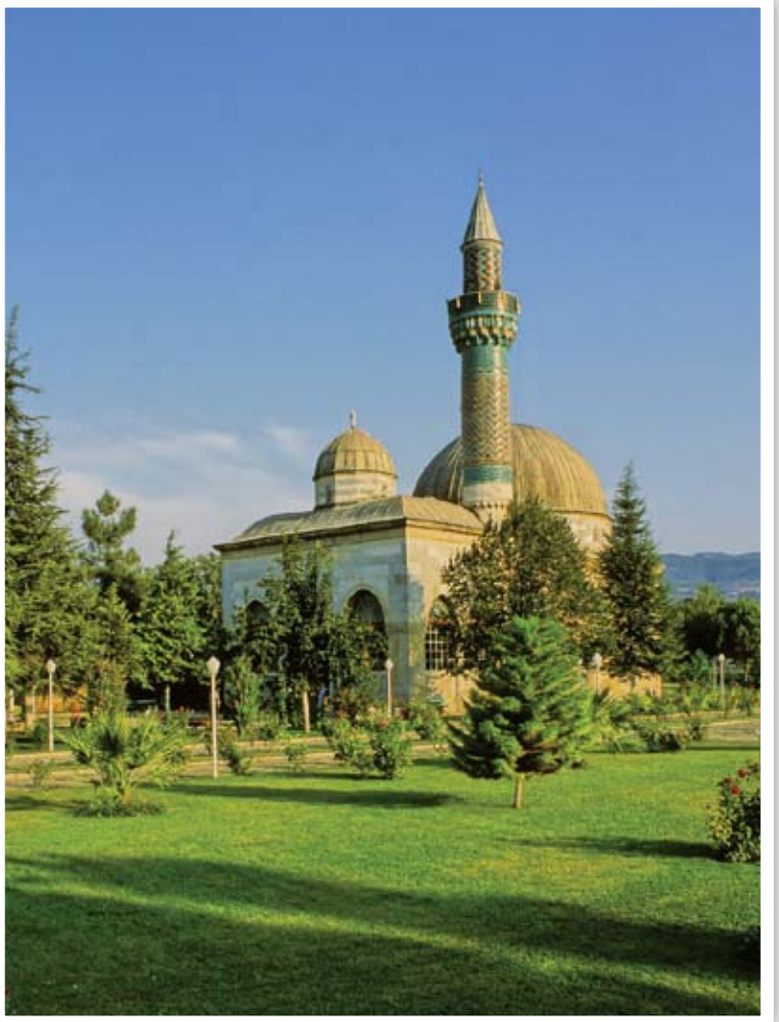

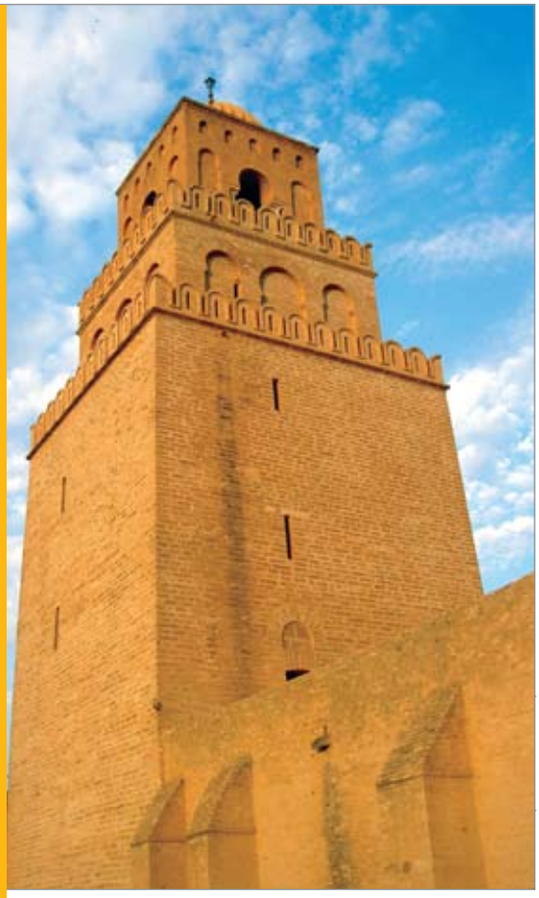

المتميز وهي ذات قاعدة مربعة مشطوفة الأركان العلوية لتأخذ شكلاً مثمناً ثم نجد الدورة الأولى ثم يستمر بناء المئذنة مثمناً أيضاً ونجد دورة ثم يتحول البناء إلى شكل أسطواني يحمل خوذة محمولة على أعمدة. وأغلب المآذن في مصر وسوريا ذات أدوار ثلاثة الأول مربع والثاني مثمن والثالث اسطواني.

وفي منتصف القرن الثامن الهجري نشأت بمصر مآذن ذات رؤوس مزدوجة كمئذنة الأمير المملوكي قايتباي السيفي عام ٩٠٨هـ ومئذنة السلطان قنصوة الغوري بالأزهر الشريف عام ٩٢٠هـ وتنتهي كل واحدة منها برأسين مزدوجين.

المآذن العثمانية

وأما مآذن العصر العثماني فقد تشابهت في طرازها مع مآذن السلاجقة ولكن تميزت

بارتفاعها الشاهق نظراً لضخامة المساجد وارتفاع قبابها مع احتفاظها بالشكل الاسطواني المميز بعدد من الشرفات المحمولة على المقرنصات وقد زاد في هذا العصر عدد المآذن في المسجد الواحد بحسب أهمية المسجد حتى بلغت ٦ مآذن في مسجد السلطان أحمد الثالث باستانبول.

وعم هذا الطراز وانتشر في جميع المساجد التي بنيت على الطراز العثماني في الحجاز ومصر وبلاد الشام وغير ذلك من البلاد التي خضعت لحكم العثمانيين.

ومع ظهور الأتراك برز الطراز التركي للمئذنة وهي عبارة عن بناء مستدير

تميزت المآذن التركية بارتفاعها الشاهق حتى بلغ ٨٥ متراً في مسجد محمد علي بالقلعة

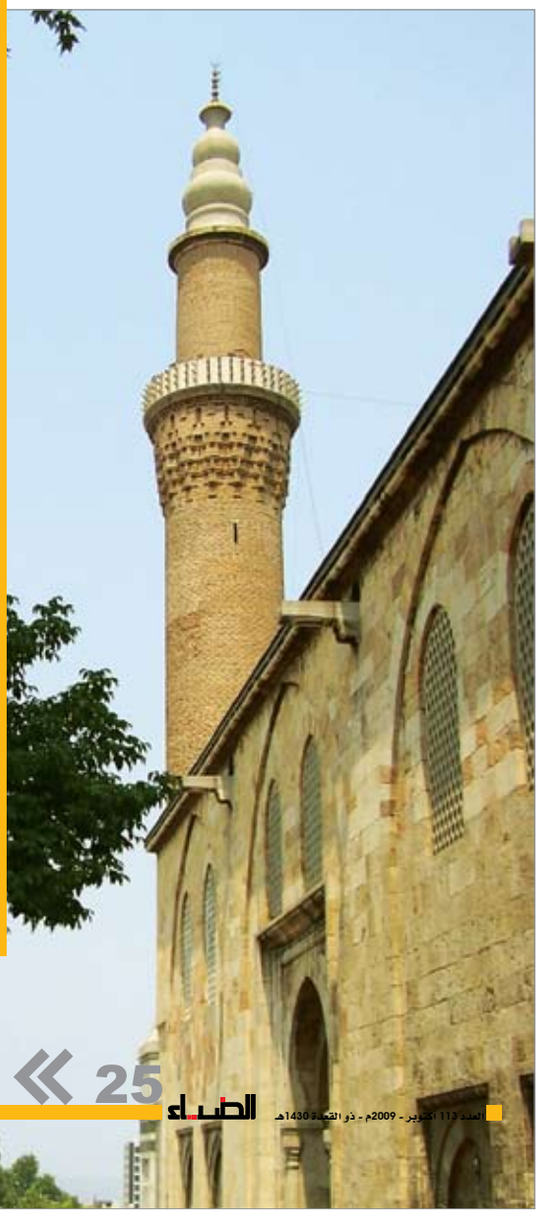

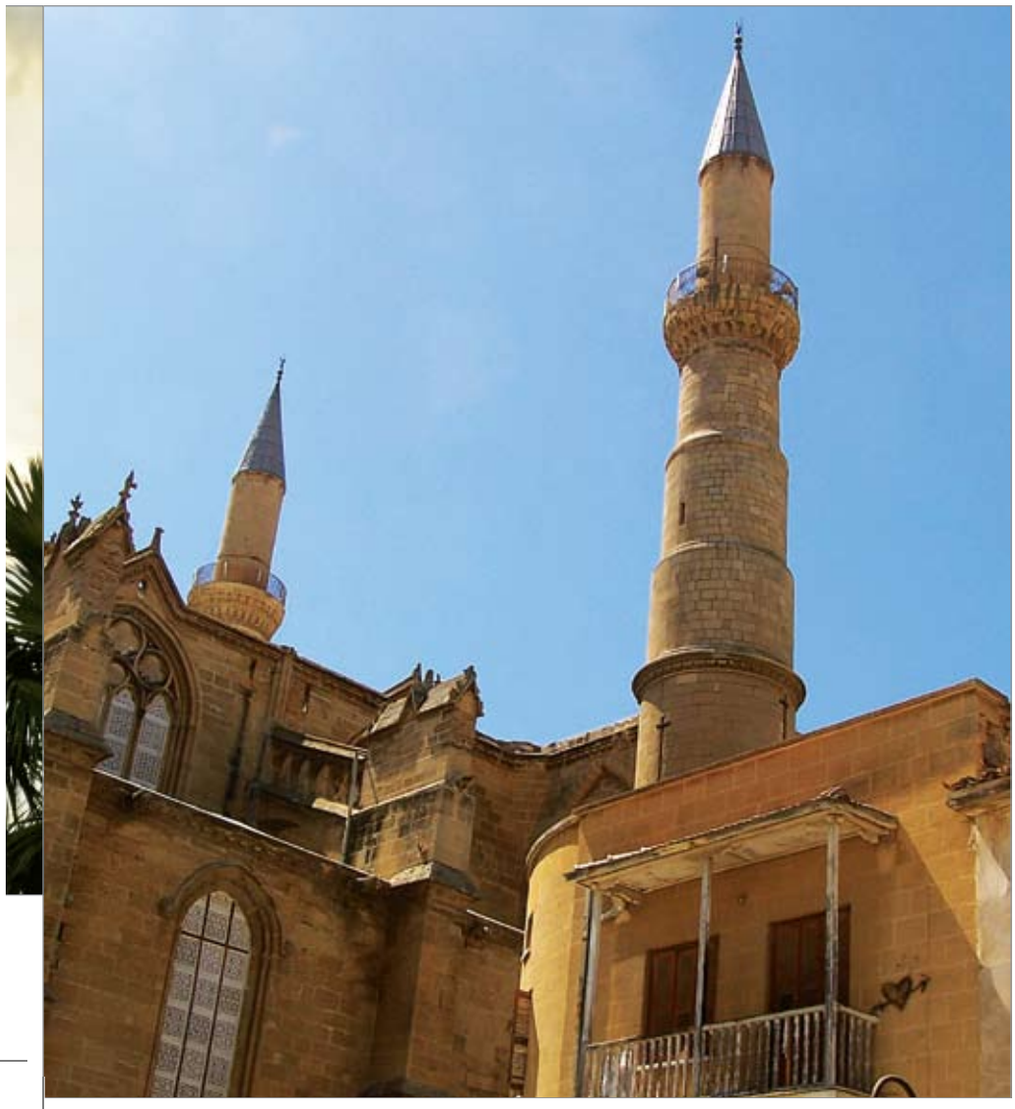

مئذنة مسجد دلهي القديمة بالهند من أفخم المآذن الإسلامية لما تتميز به من الضخامة والارتفاع وجمال الزخرفة والبناء

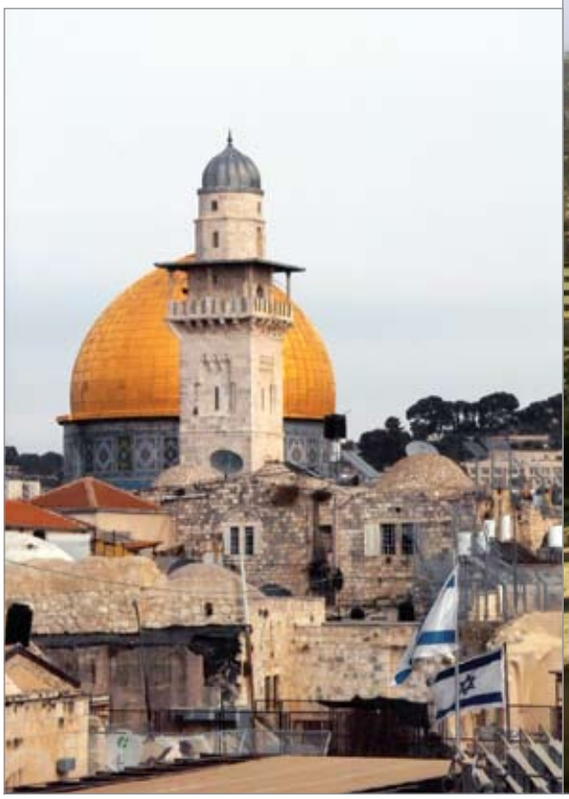

وممشوق وينتهي في أعلاه بمخروط مدبب، وقد زاد ارتفاع المئذنة حتى وصل إلى ٨٥ متراً في منارة مسجد محمد علي بالقلعة بالقاهرة.

المآذن الإيرانية

وفي إيران ظهر طراز للمآذن التي تميزت بأشكالها المثمنة ثم غلب عليها الأشكال الاسطوانية منذ القرن الخامس الهجري. والمئذنة عبارة عن بناء صممت على شكل اسطوانة عالية البناء ورشيقة وليس لها دورة للمؤذن لأنها لم تكن تستعمل للأذان، كما لا تضم سلماً أو نوافذ وتنتهي من أعلاها بشرفة واحدة محمولة على صفوف من المقرنصات وفوقها مظلة مسدود ويتميز مظهر المئذنة الخارجي بكثرة الزخارف المنفذة بالأجور الملون في أشكال هندسية بديعة، ولكل مسجد مئذنتان تحفان المدخل من جانبيه.

مآذن الهند

وفي الهند ظهرت المآذن في المساجد في وقت مبكر، وهي اسطوانية الشكل تضيق كلما ارتفعت وتزينها شرفات وتضليعات، وقد أخذت من المآذن الإيرانية فكرة إحاطة المدخل في المساجد الجامعة بمئذنتين تحفان جانبيه.

وتعتبر مئذنة مسجد قوة الإسلام بدلهي القديمة من أشهر مآذن بلاد الهند من حيث الضخامة والارتفاع وجمال البناء، وقد عدها بعض الباحثين أفخم المآذن الإسلامية على الإطلاق لما تتميز به من الخصائص الفريدة في الزخرفة والبناء. ويبلغ ارتفاع هذه المئذنة ٧٢,٥ متراً وقطرها من القاعدة ١٤ متراً ولها خمس طبقات كلها من الحجر إلا الطبقتين العلويتين فهما من الرخام الأبيض وتتميز بما يكسو بدنها من التضليعات الطولية والزخارف البنائية والهندسية والكتابية في أشرطة تدور بمحيط المئذنة في أسلوب فني يثير الإعجاب والدهشة من براعة التصميم ودقة التنفيذ.

أول مئذنة عرفتها مصر أقامها قرة بن شريك بجامع عمرو بن العاص عام ٩٢هـ

المراجع:

١ - العمارة الإسلامية - د. كمال الدين سامح - مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة

٢ - عواصم مصر الإسلامية - حسن الرزاز - الجزء الثاني - سلسلة كتاب الشعب - القاهرة

٣ - التذوق الفني وتاريخ الفن - د. فؤاد محمود حسني وأبو صالح أحمد - مطبوعات وزارة التعليم مصر

٤ - توسعة وعمارة الحرمين الشريفين - رؤية حضارية - إصدار خاص لمؤسسة عكاظ للصحافة والنشر - المملكة العربية السعودية - رجب ١٤١٣هـ

٥ - جريدة الأخبار - ١٦ يونيو ١٩٩٥م.

كيف نحبب القصص للأطفال

بقلم: د. أحمد أبو الدهب محمود - أستاذ التربية - جامعة عجمان

القصة عمل فني له رسالة شأن كل الأعمال الفنية، حتى ولو كانت مجرد فكاهة، وحكاية القصة هو أداء هذه الرسالة، ومشاركة المستمعين في العمل الفني. والأعمال الفنية تتفاوت من العمل الصغير إلى الدور العالية، ومهما يكن نوع القصة وقيمتها، فالراوي هو الموصل، هو جهاز الإرسال، هو المترجم والرسول، وإنما يحمل معه رسالة القصة.

وأول ما يطلب من الراوي هو أن يستحوذ على القصة ويتملكها، ويحس بما فيها قريباً منه قبل أن يعطيه للآخرين ومهما كان نوع العمل الفني، أو درجة الإعجاب به، أو مقدار ما به من شحنة العاطفة، أو نوع الأفكار التي يحويها، فعلى الراوي أن يستجيب بكل ذلك ويدركه، ثم يستمع في تأن إلى الرسالة التي تحويها القصة، فيتفهمها ويعيشها.

ومن الحكمة ألا يروي الراوي قصة لا يحس نحوها بشعور المودة والألفة والتقدير.[1] وهناك عدة نقاط يحتاجها راوي القصة (سواء أكان أحد الوالدين أم معلمة الأطفال في رياض الأطفال أو دور الحضانة)، قبل أن يبدأ في حكاية القصة، نلخص تلك النقاط فيما يلي:

- تقدير صادق حقيقي للقصة وإعجاب بها. فإذا ما اختار الراوي قصة، وشعر بجاذبيتها وجمالها، وتحقق من صفات الجمال والجاذبية فيها فعلية أن يرويها بطريقة تجعل المستمعين يحصلون على نفس التقدير والشعور بالاستمتاع إلى جمهوره من المستمعين، يكمن وراء ذلك مدى قوة إرادة الراوي كي يصل الانطباع والشعور لجمهور المستمعين.
- ويلعب العامل الشخصي والنفسي دوراً مهماً في نجاح الراوي في فنه، ومن ثم يجب أن يدرك الراوي مدى اعتماده عليهما في تحكمه في مزاجه وإحساسه، وفي صلته المباشرة مع الأطفال، وصلته مع القلوب التي تستمع إليه.

ويتصل بهذين العاملين عامل آخر وهو إحساس الراوي سواء أكان أحد الوالدين أم معلمة دور الحضانة ورياض الأطفال بالجمهور الذي تخاطبه من الأطفال، فالتيارات العاطفية بين الراوي ومستمعيه تؤثر فيما بينها دون قصد أو علم، ولكنها تنمو بالممارسة والتجربة. وهذه الأمور الثلاثة أشبه بالبذور التي تنبت الجذور في دائرة التقدير والمزاج والتأثير[2].

وهناك وسائل ظاهرة خارجية تصل الراوي بالنتائج، وهي ما تسمى بالتكنيك أو القواعد. حيث ان لكل فن قواعده الخاصة به، فلا فن بغير أصول في تصميمها قيود تهدف إلى تنظيم جهد الفنان وإعانته على النفاذ إلى نفس المتلقي وقلبه. وفن

رواية القصة للأطفال، مع أنه فن يعتمد كثيراً على الذاتية والشخصية إلا أنه يدخل تحت هذا القانون فله قواعده الخاصة، وليس مجرد ذكاء أو لعب أو حذق ومهارة[٣].

وأولى القواعد الأساسية لهذا التكنيك هي:

معرفة القصة: قد يظن أنه أمر مفروغ منه أن يتعرف كل راو على القصة التي يرويها، ولكن بالتجربة يثبت غير هذا، ومن أجل ذلك يجب على الراوي أن:

١- يعرف قصته جيداً، ويتمثلها حتى تصبح مختلطة بتجاربه الشخصية. ويجب أن يتضح مضمونها في ذهنه وضوحاً تاماً، حتى لا يضطر إلى التفكير فيه ساعة الإلقاء بل يجري على لسانه في حرية لا شعورية للذاكرة النشطة. ولكن لا يعني هذا حفظه لمحتوى القصة، وإنما تعني المعرفة هنا، التمكن الكامل من لب القصة وجوهرها مع ألفة كافية بتركيبها حتى يتحدد نوع الرواية. ولكي يتم ذلك التمكن من القصة، يجب أن يحولها إلى العناصر البسيطة للعقدة، ثم ينزع عنه الأسلوب والوصف والحواشي ليكشف ببساطة ماذا حدث، عندئذ يحصل على تصور خاص وواضح لعقدة القصة بعد تصور واضح للخطوات المتعاقبة، ثم تسلمه العقدة إلى الحل، وبهذا يحصل الراوي على إطار القصة.

ثم يتم بعد ذلك حل هذا الإطار وهي العناصر بالتجربة، كأن يتخيل أن هناك مستمعين له يؤدي لهم القصة وينقدونه ويسألونه، وهنا يتعرف الراوي على جوانب الضعف والقوة في روايته ويستطيع أن يقضي على جوانب الضعف بإعادة القصة عدة مرات.

وثاني القواعد الأساسية لهذا التكنيك:

أمر عملي صرف يقتضي بجلسة القصة وإعداد الوضع البدني للأطفال حيث يحرص الراوي على تنظيم الأطفال بحيث يكونون قريبين من محيط رؤيا العين للراوي، فمعلمة الرياض والحضانة يجب أن تنظم الأطفال بحيث يكونوا قريبين لإضفاء اللمسة الوجدانية على الجلسة . ويكون الأطفال على مقربة منها وفي اتجاه مباشر لها، مثلما تحرص الأم على وجود الطفل بالقرب منها عند سرد القصة له لإحداث نوع من الألفة بينها وبين الطفل - على شكل نصف دائرة، ويجب أن يكون الراوي أمام وسط القوس، وإلا يكون هناك طفل في خلف طفل يحجب عنه الرؤية، وصغار الأطفال يجب أن يكونوا قريبين ذهنياً، لأن القرب المكاني يخلق فيهم الشعور بالقرب الروحي. ومن الحكمة أن يعتمد الراوي على قوة تصوير القصة نفسها لتسكينهم، ليبدأ معهم، يجب ألا يقطع الراوي سحر القصة، وعليه أن يحكي القصة بطريقة ممتازة حتى لا ينشغل عنها أحد.

وثالث القواعد الأساسية لهذا التكنيك:

هي رواية القصة في بساطة مباشرة، والبساطة تنطبق على الأسلوب والمضمون، ويقصد بها البعد عن التكلف في سرد

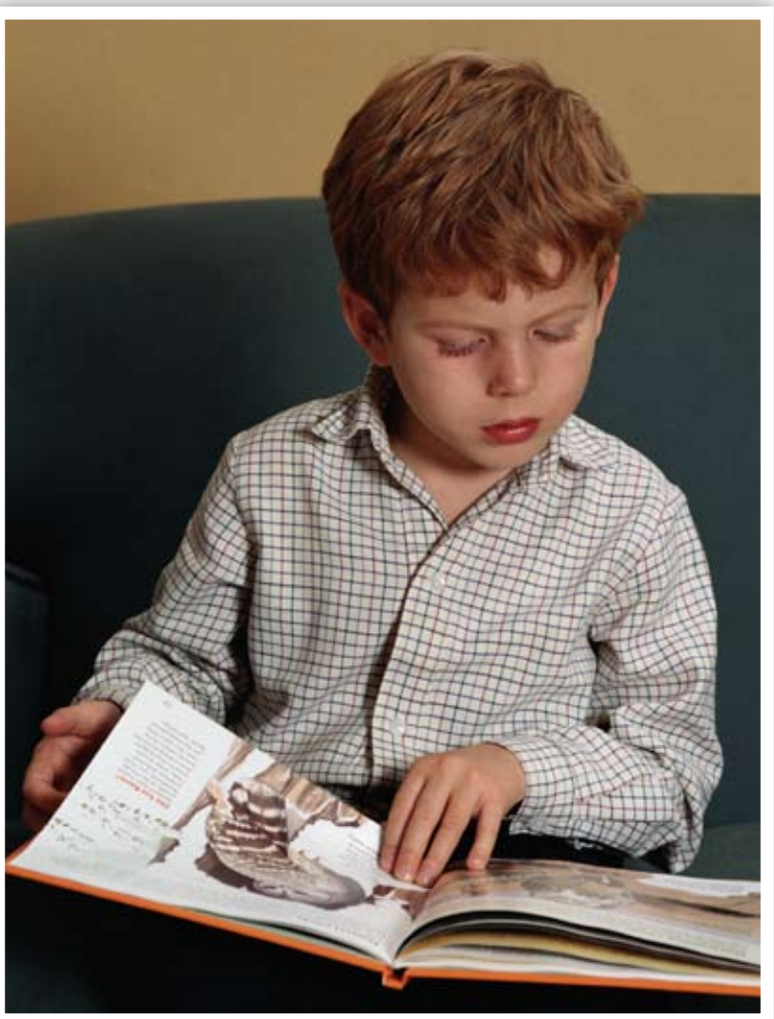

الحوار والأحداث، ويرى البعض أن الأدب المقدم للأطفال لا يجب أن يكون ويقدم وبصورة سهلة مبسطة - بل يجب أن يقدم بصورة أرقى مما يعرفه الأطفال، حتى يستفيدوا منه بمحاكاتهم له، فتحسن لغتهم وأساليبهم، ولكن هذا الرأي ينطبق على القصة التي تقرأ، ولكن لا ينطبق على رواية القصة لهم، وذلك لأن فن رواية القصة للأطفال، فن يهدف للتسلية والمتعة أولاً، فإذا لم تجد الأفكار والخيالات طريقها إلى عقول الصغار بالسهولة واليسر المطلوب، فإن الهدف الأساسي من رواية القصة قد ضاع.

والدخول مباشرة في أحداث القصة مهم جداً حيث يجب أن يسير القصة في خفة دون توقف مع تتابع للأحداث دون وصف زائد لأحدهما، وعلى الراوي أو الراوية استخدام الصوت وتعبيرات قسمات الوجه والجسم في عرض وتقديم القصة، فقد تؤدي لفتة أو بسمة أو وقفة أو حركة أو نغمة صوت ما تؤديه جملة كاملة، فالاختصار وتتابع الأحداث منطقياً في طبيعة وسرعة، وعدم التردد هو معنى رواية القصة رواية مباشرة.

ورابع القواعد الأساسية:

هي التمثيل في التعبير. وليس معنى التمثيل في رواية القصة هو أن يكون الراوي منفعلاً، أو خطيباً، بل معناه أن يعطي القصة نفسه وشغاف قلبه، بحيث يضع نفسه في المواقف التي تمر بها القصة ويتأثر بها، ويحاول أن يترجمها في صدق وإخلاص، أي يستجيب لأحداث القصة بوضوح، حيث ان تصرفات الراوي وقسمات وجهه أثناء السرد ببساطة عن الفرح أو الأسى أو الغضب أو الثورة. وتصرفاته تتوقف على حجم المستمعين والمكان أثناء السرد.

ويجب أن تكون روايته طبيعية مناسبة للمستمعين، وأن يكون انعكاساً لروح القصة، وأن تنشر هذه الروح في مكان القصة حتى تسيطر عليه وتنقله بمن فيه إلى عالم الخيال مع أحداث القصة، ولابد من التأكيد في هذا المجال على الإيقاع وأهميته في تحقيق التمثيل في التعبير، فهناك فقرات في القصة تحتاج إلى تشديد، وأخرى تحتاج إلى إيقاع بطيء أثناء السرد في حين بعضها يستوجب إيقاعاً سريعاً، وفي الحقيقة فإن هنا يكون استخدام الراوي للحركة أثناء سرد القصة مساعداً له في التعبير وذلك إلى جانب استخدامه الكلمة، والحركة هنا بسيطة ورزينة وقد تقتصر على حركة قسمات الوجه والأيدي، وذلك حتى لا تفسد خيال الطفل بل تساعده على تكملة صورة الأحداث.

وقد ساهم فن رواية القصة في المحافظة على المئات من القصص والحكايات الشعبية ذات التاريخ القديم، وساهم كذلك في المحافظة على تراث الأمم وإحيائه عبر انتقاله من جيل إلى جيل عبر رواية القصص عن تاريخهم، وعاداتهم وبطولاتهم وآدابهم فكان الآباء والأمهات والجدود والمربيات يروون القصص لأجل إمتاع الأطفال، إلا أن هذا الفن أصبح بعد ذلك غير قاصر على جدران المنازل. بل تخطى ذلك، بعد أن أدركت الأمم أهمية هذا الفن في بناء شخصية الطفل فاهتمت بإدخاله إلى رياض الأطفال ودور الحضانة لما له من أهداف تربوية وتثقيفية، تساهم في بناء جيل مثقف مفكر.

عوامل النجاح في رواية القصص للأطفال:

رواة القصص رسل إلى الأطفال لا تستغني عنهم الحضارة الإنسانية. إنهم يصورون العالم ويخططون حدوده وأشكاله في ذهن الصغار وخيالاتهم.

والراوي الجيد هو الذي يختار لكل مستمع على حده لونه الذي يشبعه ويرضيه، فيظهره ويحجب سواه وتصبح القصة جزءاً من المستمعين تنقل إليهم الخبرة والتجربة، والخيال، والتراث، وتسهم في تشكيل شخصياتهم، وتكوين قيمتهم، ومبادئهم، ومستوياتهم السلوكية.(٤)

تكمن سر موهبة راوي القصة للأطفال، في حاسته السادسة التي تحسن الاختيار، فهي تعمل كعين الجوهري في نقد حر من زائفها، وعلى ذلك يجب على كل راو من المدرسين والمدرسات والمشرفين على الأطفال في دور الحضانة والرياض، أن يلم كل منهم، بالعديد المكنون من القصص، ليرضي الميول المختلفة ويتملك الموقف أمام الجماهير.(٥)

وحيث ان فن رواية القصة يعتمد اعتماداً كلياً على الرواة أنفسهم في عملية انتشاره وازدهاره وبقائه، وذلك لأن هؤلاء الرواة ينقبون بين ثنايا الفن لإخراج النفيس منه، ويكونون نسيجه من عناصره المختلفة وينمونه بوسائل متعددة، ويكملون غزله، حتى يخرجونه إلى الناس في صورة مكتملة ولكي يتم الإمساك بزمام هذا الفن يعتمد على ثلاثة عوامل: ثراء الخبرة، «وعنى التجربة وبناء الخلقية» الفنية بسعة ذهن الراوي واشتراكه في كل ما يعاون على إضاءة جوانب هذا الفن.

والخيال المبدع الذي يستنير العواطف بقوة تصوراته أو حاسة الاقتناع الروحي برسالة الفن وفنانيه، ثم تأتي موهبة الاختيار.

- والمعالجة الصحيحة لفن رواية القصة، من أهم سبل النجاح لهذا الفن الشعبي، ومن ثم معالجته بأحاسيس المثقفين وأفكار المتفلسفين، تضعه تحت سيطرة العقل وحاسة النقد، وتخرجه عن دائرة الضوء ومحاولة التجديد وإدخال الأفكار العصرية في هذا الفن مدخل للقضاء عليه وتعريضه للخطر أو تحويله إلى شيء آخر غير فن رواية القصة التقليدي.

ومن المسلم به أن عاملاً مهماً من العوامل التي يتوقف عليها نجاح حكاية القصة لا يعيش، وهو اختبار القصة «وذلك بالتمييز بين مختلف القصص والمواقف وإدراك الفرق بينهما. واختيار الراوي للقصة الجيدة، قد يكون مبيناً على قدر كبير من الإعجاب والتقدير أو على الألفة والصلة القوية بالخيط الواسع أو المتعدد من ألوان الأدب وأجناسه، وقد يكون أساسه القدرة على حاسة النقد.

- والعلاقة الشخصية التي تتكون بين الرواة والقصص التي يروونها، تتدخل حتى الأخرى في عملية الاختيار، وهنا نلمس جزءاً من كمال القصاص وصدقه ونزاهته مع نفسه وجمهوره، حين يتعرف بأمانة على القصص التي لا يجيد روايتها فيمتنع عن حكايتها.

- وخبرة رواة القصة للأطفال، هم أولئك الذين يحتفظون بشيء من روح الطفولة في حياتهم فيجدون المتعة في الفكاهة وفي الخرافة، وفي الخيالات التي في قصص الأطفال. ولديهم القدرة على أن يمزجوا أنفسهم بأفكار الشخصيات المختلفة في القصص وأحاسيسها، فيضحكون ويتعصبون معهم، ويهللون ويفرحون ويحزنون لفرحهم وحزنهم، ومثل الرواة يبعثون الحياة في القصة.(٦)

- والراوي الذي يستمتع بفنه، يدرس جمهور مستمعيه، ويختار لهم القصة المناسبة، ثم يبدأ في تركيز تفكيره وخياله على مادتها من شخصيات،

فن رواية القصة يعتمد اعتماداً كلياً على الرواة أنفسهم في عملية انتشاره وازدهاره وبقائه

وأحداث وأماكن ليتصوروها ويبدعها في طراز يمتع هذا اللون من السامعين، ومن عوامل نجاح القصاص، معرفته الجيدة بصوته وكيفية استعماله، وصوت القصاص هو الأداة التي بها يحكي القصة في فصل الدراسة بالرياض أو دور الحضانة ولذا فعلى الراوي أن يهذب صوته ويعوده على الطبقة التي يستمتع بها المستمع، ويمعن في المحاولة والتعود حتى تصبح تلك الطبقة طبيعية في صوته (٧).

المراجع:

(١) علي الحديدي، الأدب وبناء الإنسان، منشورات الجامعة الليبية (كلية التربية)، ١٩٧٣، ص ٤٤١.

(٢) المرجع سابق ص ٤٤٢.

(٣) عبدالقادر عقيل، «ندوة أدب الطفل العربي وآفاق المستقبل» ندوة رقم ١٩، مجلة فكر وفن، (القاهرة: تصدر عن قطاع الإنتاج الثقافي وزارة الثقافة المصرية، العدد الخامس، فبراير ١٩٩٧)، ص ٧٥.

(٤) علي الحديدي مرجع سابق، ص ٤٢١.

(٥) فالح فلوح، «حول أدب الأطفال في مدارس الرياض»، التربية القطرية (قطر، العدد ٨٨، نوفمبر ١٩٨٨م)، ص ٦٣.

(٦) علي الحديدي، مرجع سابق، ص ٤٢٦.

(٧) حنان عبدالحميد العناني، أدب الأطفال، ط٢ (عمان: دار الفكر، ١٩٩٢م)، ص ١٠٦.

التداوي بالأعشاب الطبية في القرن الثاني عشر الهجري

قراءة في مخطوط

«شفاء الأسقام»

هيام زكريا - باحثة متخصصة في الآثار الإسلامية

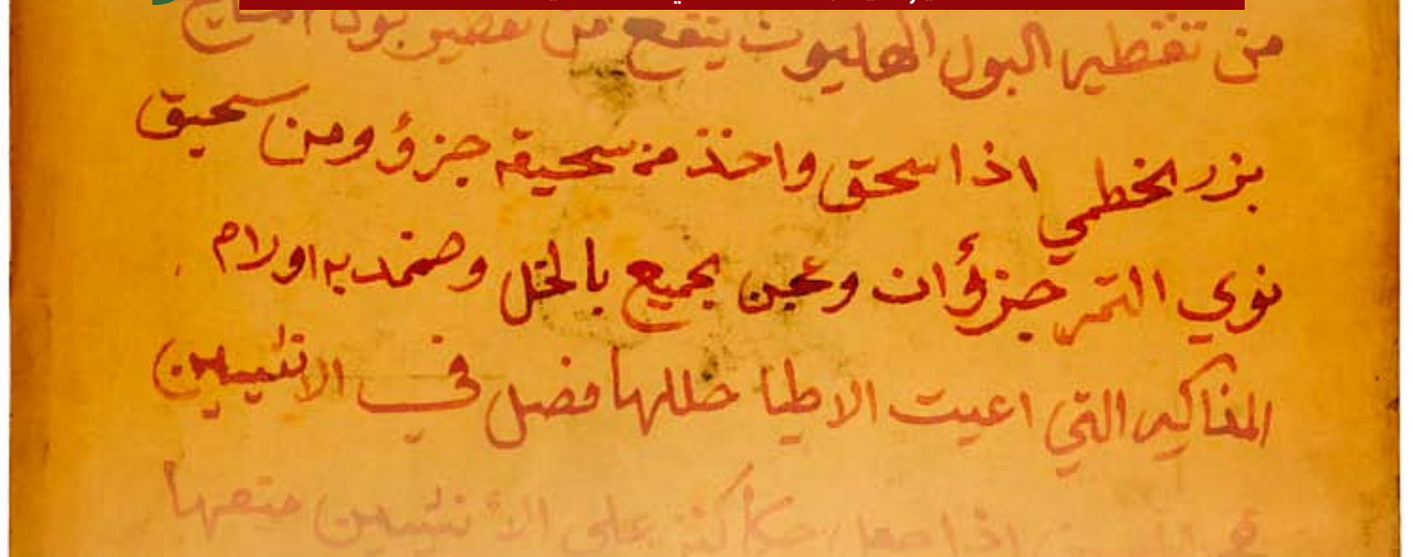

مخطوط شفاء الأسقام من المخطوطات الإسلامية المؤلفة باللغة التركية، ويغطي موضوعه جوانب كثيرة من فروع الطب المختلفة، ويرجع تاريخه إلى عام ١١١٦هـ (١٧٠٤م).

وهو من تأليف شفائي ده ده، أحد أكبر وأعظم أطباء الدولة العثمانية، وإليه يرجع الفضل في إحياء العلوم الطبية في الدولة العثمانية بعد ضعفها وانهيارها في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي).

وصف المخطوط:

المخطوط مؤلف باللغة التركية بالرسم العثماني، ومدون بخط النسخ بمداد أسود اللون، يحدد صفحات المخطوط إطار خطي باللون الأحمر، كما يفصل الجمل نقاط حمراء اللون، ويبلغ عدد صفحاته (٦١٣) صفحة من بينها (٧٧) لوحة ملونة، ويذكر المؤلف أنه انتهى من كتابته في «الساعة الرابعة من يوم السبت التاسع من صفر المظفر المبين المنتظم في سلك شهور سنة ست عشرة ومئة وألف من هجرة من له العز والشرف، صلى الله تعالى عليه وعلى آله»، وذلك كما جاء بخاتمة المخطوط.

موضوع المخطوط

يتناول المخطوط دراسة عدد من النباتات والأزهار والثمار من خلال ذكر فوائدها الطبية والعلاجية والإشارة إلى خواصها العلاجية والزراعية، كذلك يتناول المخطوط دراسة عدد من العمليات الكيميائية والكيفية التي تتم بها مثل هذه العمليات لتحضير الأدوية المختلفة.

ويختتم شفائي كتابه بالحديث عن فن الجراحة ذاكراً لنا عدداً من العمليات الجراحية التي برع فيها العلماء العثمانيون، والأدوات التي كان يستخدمها الطبيب المسلم العثماني في أداء مثل هذه العمليات الجراحية كالفصد، والحجامة، والكي، ونشر العظام وغيرها.

وتحدث المؤلف أيضاً عن بعض الأمراض وطرق علاجها، مثل مرض الصرع

والصداع، والماليخوليا، والرعشة، وآلام الأسنان، الأمراض الصدرية مثل ضيق الصدر، السعال، الربو، وأورام الثدي، وأورام المعدة، والأمراض الباطنية المختلفة، وأيضاً تحدث المؤلف عن الحمى بأنواعها وطرق علاجها ومنها الحمى البلغمية، والحمى السوداوية، كما ذكر أمراض الحصبة، ومرض الطاعون والقوبا، والجرب، وأمراض الشعر وغير ذلك من الأمراض المختلفة.

وعلى سبيل المثال يذكر المؤلف عند حديثه عن مرض الصداع عدة نباتات تفيد في شفاء هذا المرض وغيره من الأمراض الخطيرة، ومنها نبات القرنفل، ويشير المؤلف إلى أن هذا النبات «منه البري، ومنه البستاني، لو يستعمل زهره مع مطبوخ التونقه أو القنطريون يكون نافعاً للدوار، والصداع، والشلل، وخفقان القلب، والإغماء، والقرنفل البري يطحن ويشرب ماؤه، وله قدرة عجيبة على تفتيت الحصوات، وإدرار البول، كما أنه نافع لاحتباس البول».

كذلك فإن نبات نجور مريم، من النباتات المفيدة في «علاج حالات الصداع المزمن، وهو من النباتات المحللة، بحيث إذا شربت عصارته أو دهنت عند موضع السرة فإنها تطلق البطن، ولو أخذ على شكل حقن فإنها تعد علاجاً قوياً لآلام القولون وألم الأمعاء، وعصارته مفيدة لأمراض الرأس الناتجة عن البرد، وخلط هذا العشب بالعسل وطلاء العين به يمنع ضعف البصر، ويمنع نزول الماء من العين».

أيضاً يذكر المؤلف نبات «قرن الكركدن» على أنه من النباتات التي تفيد في علاج «الحمى والصداع، والاستسقاء والقولون، ومفيد للدسنتريا، وزيادة الحيض كما أنه مفيد للأمراض الجلدية، والحصى والجدري، وزهره مفيد جداً، حتى أن الحكماء استخرجوا منه الخلاصات، وكانوا يستخدمونها في كل الأمراض».

والملفت للنظر أن الأمراض النفسية حظيت بالاهتمام الكبير من قبل المؤلف فنراه يذكر العديد من النباتات ذات الفوائد النفسية، ومنها نبات الورد، ويذكر عن شفائي في صفحة (٥٢٨) من المخطوط أنه (نبات بارد من الدرجة الأولى، ويابس من الدرجة الثانية، وماؤه المقطر (ماء الورد) مفرح للقلب ويجلب البهجة، كما أنه يسكن الصداع، ويمنع الإغماء، وهو مناسب للأجواء الحارة.

ولنا هنا أن نشير إلى ذلك التقدم والتطور الذي شهده مجال الطب النفسي والعصبي لدى العثمانيين لاسيما في القرن الخامس عشر الميلادي حتى أنهم استخدموا الموسيقى في العلاج، في الوقت الذي كان الغرب يعالج المريض النفسي والعصبي بالحرق بحجة إخراج الشيطان من جسده، ولم يعرف العلاج بالموسيقى إلا في القرن العشرين وتحديداً منذ عام (١٩٥٦م).

أيضاً من النباتات المفيدة جسدياً ونفسياً يتحدث المؤلف عن نبات الزعفران في الصفحة رقم (٥٣٤) من المخطوط على أن له قدرة على تفتيح سدود الكبد، يعطي الوجه نضارة وحسناً، وله قدرة عجيبة على تقويه جوهر الروح ويبهج القلب، كما أنه يستخدم كمنوم، ويجلي البصر ويدر الطمث والبول.

ولم ينس شفائي مرضى العظام وآلام المفاصل، فذكر نبات رائع يسمى «ثوم الحية»، وذلك بصفحة (٥٥٧) من المخطوط، وهو مفيد في علاج النقرس، ووجع المفاصل وعرق النسا.

نبات «قرن الكركدن» من النباتات التي تفيد في علاج «الحمى والصداع، والاستسقاء والقولون

التقدم والتطور الذي شهده مجال الطب النفسي والعصبي لدى العثمانيين لاسيما في القرن الخامس عشر الميلادي حتى أنهم استخدموا الموسيقى في العلاج

ولمرضى الأسنان واللثة نصيب من الاهتمام حيث إن نبات المرجان بأنواعه الثلاثة التي ذكرها شفائي بالمخطوط وهي الأحمر والأسود والأبيض مفيد في علاج آلام الأسنان واللثة، ويبيض الأسنان ويمنع نزيفها.

أخيراً وليس آخراً فإنه من المثبت بالأدلة المادية الدامغة أن المسلمين اهتموا بدراسة العلوم المثبتة وطوروها وأبدعوا فيها، الأمر الذي أثمر ملايين المخطوطات العلمية التي تنادي هل من باحث!

الإيمان يقين وتفاؤل .. لا عجز وتشاؤم..!!

بقلم: علي عيد - كلية الدراسات الإسلامية - دبي

تعودت أسماعنا على ترديد كلمة التشاؤم من الصغير والكبير، والمرأة والرجل، والمثقف والجاهل، حتى ممن ينتسبون إلى الدعوة، رغم أن هذه الكلمة التي تعبر عن حالة نفسية انقباضية إذا تعرضت لرؤية ما يبعث على هذا الانقباض، أو سمعت شيئاً من هذا، لا مكان لها في الإسلام وإنما هي نبت جاهلي جاء الإسلام لتغييره، وبعث اليقين بتفرد الله عز وجل بتصريف أمر الكون دونما تأثر بشيء مخلوق أبداً..!!

ولقد سارت أمور المسلمين على هدى هذه القاعدة قروناً تميزت بقوة عقائدهم، فلما دخلت الأمم في الإسلام بتصوراتها ومفاهيمها، بدأت تتناثر مرة أخرى في الأفق، حتى غزت العقول مرة أخرى، وبدأت الأجيال المسلمة تتعود عليها، حتى لجأ المسلمون إلى محاكاة غيرهم ممن يتطيرون من منظر لبعض الناس، لفقدهم إحدى العينين أو اليدين أو القدمين، أو تشوه في الوجه أو القامة..!

أو يتطيرون من بعض الأيام، أو بعض الشهور، أو بعض الأرقام أو بعض الطيور أو بعض الحيوانات بل إن غالبية المسلمين اليوم أصبحوا يضاهون غير المسلمين في استطلاع رأي الدجالين الذين يكتبون الطالع في الصحف، أو رأي النجوم زوراً وبهتاناً!

وهذه التصرفات في حقيقتها، تشتمل على الخلط والوهم، وتبتعد عن الأصول الإسلامية ابتعاداً حقيقياً.. إذ كيف يكون مسلماً ذلك الذي يكيف حياته على ضوء ما يقرره له موظفو أو محررو أبواب النجوم في الصحف، فيفرح إذا وجد ما يسر ويحزن ويكتئب إذا وجد ما يخيف، أو أهمه أمر فاستبدل اللجوء إلى الله وطلب عونه، بالذهاب إلى العرافين أو النصابين، يطلب المشورة أو الفتوى فيما يجب أن يقوم به..!

فالمسلم الحق إذا عزم على أمر يجب ألا يرده شيء عن عزيمته، إذا توكل على الله، فإن الله كافيه ومحقق له ما أراد، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، استعن بالله ولا تعجز، ولا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».. ويصور هذا الموقف القوي الخليفة المعتصم حين عزم على فتح عمورية وجاءه المنجمون يخوفونه من النذر والشؤم وحديث الكتب والنجوم، فرفض الاستماع إليهم، وقال: (كذب المنجمون وإن صدقوا) وتوكل على الله وسار إليها فجاء النصر على يديه، وفي هذا الفتح، تحدث الشعراء ومنهم أبو تمام الذي قال:

السيف أصدق أنباءً من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

في قصيدته المعروفة بطولها وجمالها..!!

والنبي صلى الله عليه وسلم قال في قاعدة جميلة: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر» فنفى أن تكون هذه الأشياء سبباً في إحداث شيء أو نزول شيء، لأن الله عز وجل هو الفعال لما يريد وجده وهو الذي يبتلي الناس عباده بتقدير النوازل، والعلم الحديث يدل على ذلك، إذ ليس كل إنسان يتعرض للعدوى يمرض، بل ولا كل حامل للميكروب يمرض به، ويؤيد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم روي عنه صحيح مسلم قوله: «لا عدوى ولا صفر ولاهامة» فقال أعرابي يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها.

قال: فمن أعدى الأول؟»..!

وهذا الرد من الرسول صلى الله عليه وسلم يهدينا أن ليس كل مرض عن عدوى، وهذا ما يؤيده العلم الحديث، كما سبق، وأثبت العلم أيضاً أن الصحة النفسية لها أعظم الأثر في مقاومة المرض، حيث إن من أهم أسباب كثير من الأمراض هي الاضطرابات النفسية والعصبية، فإذا حظي الإنسان بعقيدة سليمة، ونفسية مطمئنة وقلب متوكل

على الله، لا جرم يكون أقوى من الأوهام والمفاهيم الضالة..!

ولقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث وبين حديث آخر وكلاهما صحيح، يقول: «لا يوردُ ممرضٌ على مصح» فقالوا: أما قوله: «لا عدوى» فالمراد به نفي ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقده أن المرض والعاهة تعدي بطبعها لا بفعل الله، فجردت الله من فعله، وصرفته إلى غيره، وهو شرك..

وأما حديث: «لا يورد ممرض على مصح» فأرشد فيه إلى مجانبة ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله وقدره، كأنهم أرادوا أن رؤية الألم والعذاب على المرضى، والجمع بين مشهد الصحة والمرض قد يكون فطنة الاعتراض على قضاء الله، أو ربما يتأذى الصحيح من رؤية المتألم من إخوانه المسلمين، ولكن لو كان هذا هو الرأي، لما دعا الإسلام إلى عيادة المريض والدعاء له، غير أنه في نظري يتعلق بنوع معين من الأمراض الوبائية التي ترتجف منها القلوب، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يحمي قلوب المسلمين من أن تتسرب إليها خيوط الشبهة في أن المرض قد أعدى بذاته وانتقل بذاته وأمات بذاته..!!

وأما الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء فهي مصدر تطير طيرة وتخير خيرة.. وهي التشاؤم، أي توقع الشر من قول أو فعل أو رؤية، وكانوا في الجاهلية يتطيرون (بالسوانح والبوارح) فينفرون الظباء والطيور فإذا أخذت ذات اليمين تبركوا بها، ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإذا أخذت ذات الشمال، رجعوا عن سفرهم وحاجتهم، وتشاءموا بها، فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم فنفى الشرع ذلك وأبطله..

والقرآن ينقل إلينا عن أقوام المرسلين أنهم تطيروا من دعوة رسلهم ومن بعثتهم إليهم، وكان الأولى بهم أن يتفاءلوا بهم وينتظروا الخير بمقدمهم، إذا آمنوا بهم وبما جاءوا به من دعوة..!

إذ إن دخولهم في دعوة الرسل كان ناقلهم إلى حياة أفضل، بانقلاب عاداتهم الجاهلية رأساً على عقب، فاعتبروا هذا الانقلاب شؤماً لأنهم ركنوا إلى الفساد والحمأة الوبيئة في ظلال آلهة لا تدري من أمر نفسها شيئاً، فضلاً عن أمر الناس، فانتشالهم من هذه الوهدة على أيدي الدعاة شؤم على السادة والكبراء الذين نعموا في هذه الظلمة المفسدة..!

وحين نفى الإسلام (الطيرة) أو الشؤم، إنما نفاها لما فيها من سوء ظن بالله تعالى وتوقع للبلاء، وتوجس دائم من اقتراب الشر لأي عارض، ومعارضة للتوكل والتسليم بقضاء الله، ووضع بدلاً منها الفأل الحسن، والحديث الذي في صحيح مسلم عن أنس بن مالك، عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل، قال: قيل: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة»، وفي رواية أبي هريرة (لا عدوى ولا طيره، وأحب الفأل الصالح)..!

وهنا نجد الإسلام يربي أتباعه على حسن الظن بالله دائماً، وفي كل الأحوال والملابسات وعدم الالتفات إلى مساقط الشيطان وشروره وإيحاءاته فيكون المؤمن آملاً غداً أفضل، وفعلاً حميداً.. منشرح الصدر واثقاً من ربه ومنتظراً فضله، لا أن يكون منقبض الصدر ضيقه كمن يعيش على شفا جرف هار ينتظر السوء بين لحظة وأخرى، ويركز على أثير الكلمة الطيبة على النفس الإنسانية لاسيما في الملابسات الصعبة؛ تنقشع بها الأغشية وتنجلي عنها الظلمة..!

أما كلمة (ولا هامة) فهو نفي كذلك لعقيدة جاهلية كانت تقرر أن جثة القتيل تتولد عنها هامة تنوح على جثة القتيل لا تهدأ حتى يؤخذ بالثأر، وهذا ما ساعد على قيام الحروب والثأر، بينما هي خرافة، فنهى الإسلام عنها ونفاها..!

أما كلمة «ولا صفر» فهو كذلك نفى لعقيدة أيضاً جاهلية كانت تتشاءم من شهر صفر، والنفي هنا يكون نفياً لعقيدة أن شهر صفر يكون مصدراً أو سبباً لشر أو سوء، وقيل إنه نفي لتأخير شهر المحرم ليكون بدلاً من شهر صفر على عادة الجاهلية في تأخير شهور حسب أهوائهم ومحو شهور أخرى، فجاء الإسلام بنفي النسيء، وقال: (إنما النسيء زيادة في الكفر).. وقيل إنه نفي لاعتقاد وتصور أن (صفر) هذه هي دودة كبيرة تكون بالبطن تهيج عند الجوع وربما قتلت صاحبها فنفى الإسلام أيضاً هذه العقيدة، لأن الأعمار بيد الله، وهو الذي يحيي ويميت، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الإسلام يربي أتباعه على حسن الظن بالله دائماً، وفي كل الأحوال والملابسات وعدم الالتفات إلى مساقط الشيطان وشروره وإيحاءاته

توني بلير:
الإسلام دين السلام والقرآن مرشد الإنسانية!!

تحقيق: حمدي الحلواني - صحافي مصري عضو مراسلون بلا حدود

الحديث الذي أدلى به «توني بلير» رئيس وزراء بريطانيا السابق لإحدى الصحف البريطانية.. وأشاد من خلاله بالإسلام.. كدين للمحبة والسلام.. أثار ردود فعل واسعة في العالم الإسلامي وبين علماء الإسلام.. حيث أكد العلماء أن هذه الشهادة أبلغ دليل على أن الإسلام هو الدين الصالح لكل زمان ومكان.. وأن «توني بلير» لن يكون أول مَنْ يشهد بجلال وعظمة الإسلام، وبكل تأكيد لن يكون آخرهم..

ويشيد علماء الإسلام بجرأة رئيس وزراء بريطانيا السابق في عصر ندرت فيه الشجاعة وبخاصة في محيط ديانات أخرى لها سلطانها ونفوذها في أوروبا وخارجها..

وأشار العلماء إلى أن مهمة الدعاة أخذ المبادرة ومتابعة حركة الإسلام النشطة في كل أرجاء العالم..

دين السلام والمحبة

قال «توني بلير» في حديثه: «إن الإسلام دين السلام والمحبة وانه عقيدة جميلة وان القرآن مرشد روحي للإنسانية، وانه يجسد إلهاماً من قراءته في نسخة معاني القرآن.. الكريم التي يحتفظ بها لنفسه»..

شهادات الغربيين لا تحصى

يقول الدكتور جعفر عبدالسلام أستاذ القانون الدولي ونائب رئيس جامعة الأزهر السابق وأمين عام رابطة الجامعات الإسلامية:

شهادات الغربيين من الساسة والمفكرين لا تحصى، وليس كل مفكريهم ومستشرقيهم وساستهم قد تحاملوا على الإسلام وكثيراً ما نجد منهم منصفين للإسلام بل ومعجبين به، ومنهم مَنْ خطا إلى نهاية الطريق - فأسلم ومنهم مَنْ ظل على عقيدته..

فهذا «برنارد شو» يقول مادحاً الإسلام ورسوله الأمين صلى الله عليه وسلم: «إن محمداً يجب أن يدعى منقذ الإنسانية.. إنني أعتقد لو تولى رجل مثله زعامة العالم الحديث لحل مشكلاته - بطريقة

تجلب للعالم السلام والسعادة» وكان أيضاً مما قاله: «ان هذا الدين - الإسلام - سيجد مجالاً فسيحاً في هذه القارة - أوروبا، وإذا أراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين - الإسلام - إنه دين السلام والعدالة والسعادة في ظل شريعة حكيمة لم تنس أمراً من أمور الدنيا إلا رسمته ووزنته بميزان لا يخطئ أبداً»..

ويسجل الأديب الروسي «تولستوي».. شهادة مطولة عن نصاعة الإسلام وعالميته وكان مما قال: «ومن فضائل هذا الدين الإسلامي أنه أوصى خيراً بغير المسلمين وأمر بحسن معاملتهم ولا يخفى على أصحاب البصائر العالمية ما في هذا من تسامح عظيم».

ويقول الفيلسوف الفرنسي «لامارتين» عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وهو مؤسس دين لا فرية فيه ولا جبروت ومنشئ عشرين دولة في الأرض ودولة في السماء من ناحية الروح والفؤاد فأي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدرك صلى الله عليه وسلم وأي إنسان بلغ مثلما بلغ محمد صلى الله عليه وسلم من العظمة».

المواقف العملية.. لا الثناءات

أضاف الدكتور جعفر عبد السلام قائلاً: ان هذا غيض من فيض من ثناءات رجالات الغرب على الإسلام، وليس مما يحتاج إليه المسلم في إثبات أن الإسلام حق.. بيد أن المهم هو المواقف العملية لا مجرد ثناءات تقال باللسان أو كلمات يسطرها قلم..

شاهد من قريش

المفكر الإسلامي الكبير الدكتور رشدي فكار يقول: عندما أرسلت قريش رسولها ليسمع القرآن ويعود مفنداً ومظهراً لبطلانه، عاد فقال: «ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وأن أسفله لمغدق وأنه ليعلوا ولا يعلى عليه وما هو من كلام البشر» عرفت فطرة هذا الرجل الحقيقة فعبر لسانه بما غرس الغصة في حلوق الكافرين والحسرة في قلوبهم فهذا رسولهم يشهد للقرآن ولا يشهد عليه، ومن ثم ذاع نور القرآن في الأسماع وأشرق في الصدور على تفاوت الأجناس والدهور وسوف يبقى إلى - ما شاء الله يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين بلسان عربي مبين، ينطق بالحق حين يدعو إلى التوحيد، فالله عز وجل لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولم يكن له شريك في الملك، وآيات ذلك في الكون تدل على صحته، ويدعو الناس جميعاً إلى أن يسلموا وجوههم إلى الله الواحد مخلصين له الدين وبالوحدانية معترفين ولرسوله الذي جاء به مصدقين في غير ما إكراه فلا إكراه في الدين..

شهادة العلم الحديث

ويوضح الدكتور رشدي فكار: ان المستشرقين الذين تعلموا لغة القرآن الكريم شأنهم شأن جميع الناس منهم مَنْ آمن ومنهم مَنْ كفر لأنهم أطلعوا على الذكر الحكيم ودرسوا أساليبه وأطلعوا على علوم العربية وأقوال المفسرين فمن شرح الله صدورهم وفقهم إلى الإسلام، والذين ركبوا متن العمياء وتاهوا في الضلالة كفروا..

ومن الذين شهدوا للقرآن الكريم العالم الفرنسي «موريس بوكاي» الذي قال: «لقد قمت بدراسة القرآن الكريم ذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث فأدركت أنه - أي القرآن - لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث..

ومثله دكتور «املر بلروز» رئيس قسم لغات الشرق الأدنى، وبلا شير، وبوتر.. وغيرهم.. وأضاف.. إننا نحيي كل كلمة صادقة في شهادة حق لا يحول بينها وبين نشرها التراكمات من الأكاذيب والمفتريات التي يذيعها وينشرها الحاقدون الذين صموا آذانهم وأغمضوا عيونهم عن الحق..

واجب الدعاة المثقفين المستنيرين هو نشر هذا الدين بموضوعية القرآن وفكره الصحيح دون تعصب أو ميل إلى رأي أو اتجاه معين لا يفهم منه الإسلام على الوجه الذي أراده الله تعالى

واجب الدعاة

ويشير المفكر الإسلامي الدكتور رشدي فكار: إلى أن واجب الدعاة المثقفين المستنيرين هو نشر هذا الدين بموضوعية القرآن وفكره الصحيح دون تعصب أو ميل إلى رأي أو اتجاه معين لا يفهم منه الإسلام على الوجه الذي أراده الله تعالى، فلئن يهدي الله على أيديهم رجلاً واحداً خير من الدنيا وما فيها، ولن تتحقق هذه الهداية إلا في هدى نجم منير في كبد السماء تتساقط أشعته مصابيح رحمة في طريق وعرة تسمى الحياة الدنيا.. هذا النجم هو الداعية وهذا الإنسان في أي مكان ينشد نوره ويتلمس دربه حتى يصل به إلى رضوان الله والجنة.

جرأة نادرة

يقول فضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية: إننا نحيي هذه الجرأة النادرة الصادرة عن مسؤول كبير في قارة أوروبا.. وهذا التصريح لا يصدر إلا عن وعي كامل بمنهج الإسلام قولاً وتطبيقاً وفهم سماحته في التعامل مع غير المسلمين، ويدل أيضاً تصريحه هذا على أن له إطلاعاً في تاريخ الإسلام والمسلمين الأول وكيف نشر المسلمون الإسلام في قارات العالم الثالث

بما وهبهم الله تعالى من حكمة في القول وسداد في الرأي ورشد في التوجيه وسماحة في السلوك..

ليس الأول ولن يكون الأخير

وأوضح فضيلة الدكتور نصر فريد واصل: أن هذه الشهادة الطيبة من هذا الزعيم تجعلنا نقول له: لقد وقفت على جانب من تعاليم الإسلام فكيف بك لو تعمقت في عمق كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فإنك ستجد ما يشبع نهمك ويأخذ بيدك إلى منهج الله السديد الذي أراده ووضعه سبحانه وتعالى لهداية البشر وأنت واحد منهم..

وقال: إنه ليس هو أول مسؤول في أوروبا يشهد بجلال وعظمة الإسلام، فقد شهد بذلك من قبله عظماء وقادة ومستشرقون أعطوا للإسلام حقه ولرسول الإسلام حقه.. فقال بعضهم:

نور الإسلام

إن أوروبا كانت تعيش في ظلمات وليس فيها من العلم ما يرفع من شأنها حتى جاء الإسلام والمسلمون فنشروا العلم وأخذ عنهم علماء أوروبا في علم الطب والصيدلة والكيمياء والرياضيات والفيزياء وغيرها، الأمر الذي جعل أوروبا تضيء بلادها بنور العلم والإسلام» وقال آخر «لو أن محمداً بن عبدالله صلى الله عليه وسلم حي لحل مشكلات العالم وهو يحتسي فنجاناً من القهوة» ومن يدير معركة من الإسلام كمن ينفخ في الشمس ليطفؤها أمل كاذب ما هو ببالغه..

الفهم الصحيح للإسلام

وأشار مفتي الديار المصرية السابق إلى أنه يجب على كل فرد مسلم وامرأة مسلمة أن يفهموا دينهم الصحيح وأن يعملوا به جاهدين لينطلق كل فرد مسلم متحركاً على الأرض كأنه إسلام يتحرك، فهم أولى بأن يفهموا دينهم ويربوا أبناءهم وذويهم على عز الطاعة وصرفهم عن ذل المعصية..

منهج الإسلام

يقول فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر: إن الله سبحانه وتعالى يقول «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد» هذه الآية تسجل وعداً من الله تعالى بأن يكشف لكل الناس على مر الأزمان آيات دالة على أن الله تعالى هو الحق وأنه الإله الواحد، وأن الإسلام هو دين الله الذي ختم به كل الرسالات وأن منهجه هو الذي يحقق للإنسانية كل ما تصبوا إليه من أمن وسلام ومحبة وتعاون بين الأغنياء والفقراء بحيث لا يهنأ للإنسان عيش إلا إذا كان الآخرون حوله في راحة ويسر في معيشتهم وأحوالهم الاجتماعية حتى أن هذه الشريعة التي شرعها الله لعباده توجب على الإنسان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه بصرف النظر عن الجنس واللون والعقيدة والقرابة..

سعادة البشرية

وأضاف فضيلته.. إن الناس في مواجهة هذه التعاليم الإلهية فريقان، أحدهما يغمض عينيه ويصم أذنيه عن هذه التعاليم فلا يفتح منافذ العلم والهداية إلى قلبه فهذا ظالم لنفسه ـ مخطئ في أحكامه يتخبط في حياته على غير علم أو هدى أو سلطان مبين.. وفريق آخر يريد أن يكون منصفاً في أحكامه فيسعى إلى معرفة الإسلام وشريعته ويقبل على هذه المعرفة محايداً ومجرداً من الهوى، ومن قناعة صادقة، فينشرح صدره للإسلام ويعرف أنه دين الله ومنهجه وأن سعادة البشرية متوقفة علي الإيمان بمبادئه وتطبيقها على مستوى الفرد والمجتمع والأمة كلها..

شهادة صدق

وأوضح فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي: اننا نجد بين الحين والحين شهادة صدق من شخص أخذ على نفسه أن يكون منصفاً فلا يحكم على شيء لا يعرفه فيتجه إلى معرفة حقيقة الإسلام من كتابه الكريم ومن تعليمات رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيتحقق فيه وعد الله ويعرف أنه الحق، ويكون من محامده وحسن إنصافه أن يشهد شهادة صادقة بما تبين له وأن يعلن ذلك على الناس غير هايب من إساءة الظن به أو من مخالفة التيار العام فيما يشهد به..

نور يملأ الآفاق

أشار فضيلته.. إلى أن ما يظهر من إنصاف المفكرين الكبار للإسلام وشريعته وآدابه وأخلاقه دون أن يكون وراء ذلك قوة بشرية أو جماعة تبذل جهدها في التعريف به والإقناع بشريعته دليل على أن الإسلام نور من الله يملأ الآفاق ولا يحتاج من الناس لأكثر من أن يفتحوا عيونهم فيهتدوا به في ظلمات الحياة المادية التي شغلت الناس بمتاعبها ومآسيها.

فضيلة الدكتور نصر فريد واصل.. مفتى الديار المصرية السابق: على المسلمين أن يفهموا دينهم الصحيح وان يعملوا به.. لينطلق كل مسلم وكأنه إسلام يتحرك!!

فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي.. شيخ الأزهر:

منهج الإسلام يحقق للبشرية أمنها وسعادتها!!

المفكر الدكتور رشدي فكار: إنها «شهادة صدق» في وجه مَنْ أغمضوا عيونهم وصموا آذانهم عن الحق!!

داووا مرضاكم بالصدقة

د. محمد سعيد رضوان - أستاذ بجامعة عين شمس - القاهرة

يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٧١)

يقول إمام جامع الرضوان في حَلَب السورية: في بداية زواجي مَنَّ الله علينا بطفلنا الأول، ففرحنا به فرحاً شديداً، لكن شاء الله سبحانه أن يُصاب هذا الطفل بمرض شديد، عجزَ عنه الطب حينها، وبَدَأت تسوء حالة الطفل وتسوء حالنا نحن أكثر حُزناً على فلذة كبدناونور عيوننا..وكلكم يعلم ماذا يعني الطفل لوالديه وخاصة أنه طفلنا الأول... لكن الشعور الأسوأ هو شعورنا بالعجز لأن نقدم له العلاج لمعاناته إلا أننا سلمنا أمرنا لله وقضائه، لكن كان علينا الأخذ بالأسباب وعدم ترك أي فرصة أوسبيل لعلاجه. دلنا أهل الخير على طبيب ذي خبرة وشهرة فذهبتُ إليه بالطفل، والطفل يشكو من الحمى - التي تأكل قبل الطفل جسدي وجسد أمه وقلبها وقلبي - فقال لنا: «إذا لم تنزل حرارة الطفل هذه الليلة فسيفارق الحياة غدا !».

عدتُ بالطفل حزينا كئيباً، يقض الألم قلبي حتى فارق النوم جفني، فقمت لأصَلِّي، ثم ذهبت هائماً على وجهي تاركاً زوجتي عند رأس ابني باكيةً حزينةً، مشيت في الشوارع لا أعرف ماذا اعمل لابني !!، لكنني تذكرت الصدقة وحديث حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال: «داووا مرضاكم بالصدقة»، ولكن من سأجد في هذا الوقت المتأخر لأطرق بابه وأتصدق عليه، وماذا سيقول عني إن فعلت ذلك؟. وبينما أنا كذلك إذ بهرَّة جائعة تموء في الليل الأسود.. تذكرتُ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سأله الصحابة: (وإنَّ لنا في البهائم أجراً ؟! فقال صلى الله عليه وسلم: «في كل كبد رطبة أجر»، فدخلت منزلي وأخذت قطعةً من اللحم، فأطعمتها الهرة. أغلقت الباب خلفي، غير أن صوت الباب اختلط بصوت زوجتي: «هل عدت.. إليَّ.. إليَّ.. سريعاً» !!، فهرعت إليها.. وجدت وجه زوجتي قد تغير وعلى صفحة وجهها تهليلة بِشْر!. فقلت: عُدتُ لتوي. قالت: «بعدما ذهبت، أغفيت قليلاً وأنا جالسة.. فرأيت رؤيا عجيبة !.. لقد رأيت نفسي محتضنةً ابني.. وإذ بطير أسود كبير يهوي من السماء لينقض على طفلنا ليأخذه مني وأنا خائفة أضمّ ابني بشدة لا أعرف ماذا أفعل! وإذ بقطٍّ يدفع الطيرَ دفعاً شديداً ويعاركه عراكاً ما رأيت أقوى منه، مع أن الطير كان ضخماً، وظل يدفعه ويعاركه حتى دفع الطير بعيداً، واستيقظت على صوتك» ..

يقول الشيخ: فتبسمت واستبشرت خيراً، نَظَرَت إليَّ زوجتي مندهشة من تبسمي!. فقلت لها: عسى أن يكون خيراً.. هرعنا إلى طفلنا.. لا نعرف مَن يصل أولاً وإذ بالحمى تزول عنه ويفتح الطفل عيناه، وصباح اليوم التالي - والذي لا إله إلا هو - كان الطفل يلهو مع الأطفال في الحي والحمد لله.

تسعة أبحاث علمية تتحدث عن:

علم الأجنة

في ضوء القرآن والسنة

د. محمد سعيد رضوان - أستاذ بجامعة عين شمس - القاهرة

إن معجزة القرآن الكريم مستمرة إلى يوم القيامة. وهذا الإعجاز يتجلى في أمور كثيرة. إعجاز في نظمه وبلاغته وإعجاز في قصصه وأخباره وإعجاز في شرائعه وأحكامه وفي شتى المجالات، ومن إعجازه ما انطوى عليه من الأخبار بالغيبيات التي ستقع ولم تكن معهودة وقت التنزيل، وما أشار إليه من حقائق مبثوثة في أرجاء الكون الفسيح علوية وسفلية تجلت في عصرنا الحاضر بعد تقدم وسائل العلم وكشوفاته في الأنفس والآفاق والتي توافقت مع نصوص القرآن والسنة.

ولقد كان اكتشاف المراحل المتنوعة والمتتابعة التي يمر بها الجنين من المسائل الصعبة والمعقدة في تاريخ علم الأجنة، ومرد تلك الصعوبة إلى الحجم المتناهي في الصغر لمراحل الجنين في الأسابيع الأولى من الحمل، ولعدم تيسر مشاهدته أو فحصه في مستقره داخل الرحم دون تقنية خاصة، ناهيك عن عدم الإدراك الصحيح لقرون طويلة قبل اكتشاف الميكرسكوب في القرن السابع عشر لدور كل من الذكر والأنثى في تكوين الجنين.

إلا أن القرآن الكريم - الذي يرجع تاريخ نزوله إلى القرن السابع الميلادي. يمثل أول مرجع بين أيدينا يذكر أطواراً متميزة للجنين ويقدم مسميات ومصطلحات تصف المظهر الخارجي، وأهم العمليات والأحداث الداخلية لكل مرحلة، وقد استوفت هذه المصطلحات القرآنية بمثالية رائعة جميع الشروط التي يجب توفرها للمصطلحات العلمية الدقيقة.

وحول علم الأجنة في القرآن والسنة وما يحمل في طياته من الحقائق والمعجزات أصدرت هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة كتاباً بعنوان «علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة». يتكون من مجموعة من الأبحاث التي أعدها مجموعة من الباحثين الأجانب وأشترك فيها عدد من العلماء المسلمين وتدور في مجموعها حول إظهار الإعجاز في القرآن والسنة وبيان توافق الحقائق العلمية الحديثة لما ورد فيهما، فما يملك المؤمن إلا أن يخشع ويزداد إيماناً ويقيناً، ولا يملك غير المسلم إلا أن يحني رأسه أمام حقائق القرآن وإعجازه إفحاماً وتسليماً.

نظرة تاريخية في علم الأجنة

يتناول البحث الأول تاريخ علم الأجنة حيث مر هذا العلم بثلاث مراحل، الأولى منها تسمى «بعلم الأجنة الوصفي» وتعود إلى أكثر من ستة قرون قبل الميلاد، وتستمر حتى القرن التاسع عشر، أما المرحلة الثانية «علم الأجنة التجريبي» فتبدأ من نهاية القرن التاسع عشر وتستمر حتى الأربعينات من القرن العشرين، وتمتد المرحلة الثالثة - مرحلة التقنية واستخدام

القرآن الكريم أول مصدر يذكر الأطوار المتميزة للجنين ويعطي لكل مرحلة تسمية خاصة

المنهج القرآني لتقسيم مراحل الأجنة يدعو إلى الدهشة

نستنتج من تحليل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أنها تتضمن وصفاً دقيقاً شاملاً للتخلق البشري

الأجهزة ـ من الأربعينات وحتى يومنا هذا، ويتضح من تاريخ علم الأجنة أن التخليق البشري كان دائماً مثار اهتمام كبير، وقد اقتصرت الدراسات الأولى على استخدام الوصف التخيلي نظراً لقلة الوسائل التقنية المتقدمة حينئذ، وبعد اختراع المجهر في وقت لاحق اتسمت الدراسات بدقة أكبر وظلت تستخدم الوصف إلى جانب الأساليب التقنية التجريبية، بيد أن كثيراً من هذه الملاحظات الوصفية كانت على قدر كبير من التخيل والبعد عن الدقة ولم يتم التوصل إلى فهم ووصف أدق للتخلق الجنيني إلا في هذا القرن وباستخدام الأجهزة الحديثة فقط.

المعلومات الجنينية في القرآن والسنة

أما عن المعلومات الجنينية في القرآن الكريم والسنة النبوية والتي يرجع تاريخهما إلى ١٤٠٠ عام، فقد وصف القرآن الكريم والحديث الشريف في القرن التاسع الميلادي وبأسلوب رفيع رائع الكثير من هذه المكتشفات المدهشة، التي اكتشفها العلم الحديث بأجهزته وأساليب بحثه، ويمكننا أن نستنتج من تحليل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أنها تتضمن وصفاً دقيقاً شاملاً للتخلق البشري من وقت امتزاج الأمشاج وخلال تكون الأعضاء، وما بعد ذلك، في قوله تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين» «المؤمنون: ١٢ ـ ١٤» ومثل قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها» ولم يكن هناك أي تدوين مميز شامل للتخلق البشري كالتصنيف المرحلي

وعلم المصطلحات والوصف قبل القرآن الكريم، فقد سبق هذا الوصف القرآني والنبوي بقرون كثيرة في معظم الحالات إن لم يكن في كلها، تسجيل المراحل المختلفة لتخلق الجنين البشري في المؤلفات العلمية المعروفة.

مرحلة النطفة

وتحدث البحث الثاني عن أول مراحل التخلق البشري وهي مرحلة النطفة وعن بيان القرآن لها وإعجازه في توضيح دقائقها، ويشير إلى ذلك ما رواه أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه فقالت قريش: يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي فقال لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي، قال فجاء حتى جلس ثم قال: يا محمد مم يخلق الإنسان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا يهودي من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة».

ويبدأ مصطلح النطفة من المني والبويضة وينتهي بطور الحرث «الانغراس» وتمر النطفة خلال تكونها بعدة أطوار أولها الماء الدافق، قال تعالى: «فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق» «الطارق: ٥و٦»، ثم مرحلة السلالة، فإذا نظرنا إلى المني فسنجده: سلالة تستخلص من ماء الرجل وعلى شكل سمكة طويلة ويستخرج برفق من الماء المهين، ويشير القرآن إلى ذلك كله في قوله تعالى: «ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين» «السجدة، ٨» وبعد ذلك تنتقل إلى طور النطفة الأمشاج، حيث تأخذ البويضة الملقحة شكل قطرة وتعرف علمياً عند بدء تكونها «بالزيجوت»، ويشير القرآن الكريم إلى النطفة الأمشاج بقوله تعالى: «إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج» «سورة الإنسان: ٢» ثم يأتي بعد ذلك طور الحرث «الانغراس» حيث تبقى النطفة إلى ما قبل هذا الطور متحركة وتظل كذلك حين تصير أمشاجاً، وفي نهاية مرحلة النطفة الأمشاج ينغرس كيس الجرثومة في بطانة الرحم بما يشبه انغراس البذرة في التربة في عملية حرث الأرض وإلى هذه العملية تشير الآية في قوله تعالى: «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم» «البقرة: ٢٢٢»، وبهذا الانغراس يبدأ طور الحرث ويكون عمر النطفة حينئذ ستة أيام.

وعليه فقد وصف القرآن الكريم كل جوانب مرحلة النطفة من البداية إلى النهاية، مستعملاً مصطلحات وصفية علمية دقيقة لكل طور من أطوارها، ويستحيل علمياً كشف التطورات وعمليات التغير التي تحدث خلال مرحلة النطفة من غير استخدام المجاهر الضخمة، نظراً لصغر حجم النطفة، وفي العصر الذي ذكر فيه القرآن هذه المعلومات عن المرحلة الأولى للتخلق البشري، كان علماء التشريح من غير المسلمين يعتقدون ان الإنسان يتخلق من دم المحيض، وظل هذا الاعتقاد رائجاً حتى اختراع المجهر في القرن التاسع عشر الميلادي.

طورا العلقة والمضغة

ويشير البحث الثالث إلى طوري العلقة والمضغة، حيث يبدأ الطور الأول منهما بتعلق الجنين بالمشيمة، ويأخذ في تعلقه واستطالته شكل العلقة، وينتهي هذا الطور بالنمو السريع لخلايا الجنين في عدة اتجاهات، وتبدأ العلقة في أخذ شكل المضغة الذي ينتهي بدوره بانتشار الهيكل العظمي في أوائل الأسبوع السابع، قال تعالى: «ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً» «المؤمنون: ١٤» وهكذا نجد أمامنا مراحل محددة البداية والنهاية، وأسماء معبرة عن الشكل، وأهم الأحداث وحروف عطف مناسبة تشير إلى الفوارق الزمنية في التحول، ومعرفة هذه الحقائق حتى القرنين الأخيرين كان مستحيلاً، فضلاً عن ١٤٠٠ عام، وإذا تأمل الإنسان الأطوار السابقة يجد أن مراحلها

الحقائق العلمية الحديثة تؤكد ما أثبته القرآن

وصف القرآن الكريم كل جوانب مرحلة النطفة من البداية إلى النهاية، مستعملاً مصطلحات وصفية علمية دقيقة

قصيرة جداً ولا يمكن الحصول على الأجنة خلالها سليمة إلا بوسائل علمية دقيقة كان من المستحيل تيسرها في وقت نزول القرآن الكريم.

طورا العظام واللحم

ويتضمن البحث الرابع وصف التخلق البشري في طوري العظام واللحم فيقول الله تعالى: «فخلقنا المضغة عظاماً» هذا النص القرآن يبين أن طور العظام يأتي بعد طور المضغة، وإن المضغة قد تطورت لديها عناصر هيكلية، ويشير حرف العطف «ف» في الآية الكريمة إلى أن طور العظام ينمو بعد طور المضغة بفترة قصيرة. وبينما يستمر طور المضغة حتى الأسبوع السادس تقريباً فإن طور العظام يظهر في بداية الأسبوع السابع بتطور الهيكل العظمي الغضروفي، وحول هذه الأمور روي حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق

علماء التشريح من غير المسلمين كانوا يعتقدون ان الإنسان يتخلق من دم المحيض

سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها»، وينجم عن هذه العملية تكون الأعضاء وتهيئتها للحياة، ويصبح سطح الجسم أكثر استواء في طور العظام، ويتخذ في هذا الطور مظهراً أكثر استقامة كما ورد في القرآن الكريم «الذي خلقك فسواك فعدلك» «سورة الانفطار: ٧».

وتلي مرحلة العظام مرحلة أخرى تتميز عنها بكساء الهيكل العظمي باللحم من جميع جوانبه، فتتعدل الصورة الأدمية للجنين وتتناسق الأعضاء بصورة أدق، وبذلك يبدأ الجنين بالحركة في نهاية الأسبوع الثامن، وتبدأ هذه المرحلة من أواخر الأسبوع السابع إلى تمام الأسبوع الثامن، وتأتي عقب مرحلة العظام مباشرة وتشير الآية الكريمة إلى أن مرحلة الكساء باللحم تمثل نهاية لمرحلة من مراحل نمو الجنين لتبدأ بعدها مرحلة النشأة بفترة من الزمن يدل عليها استعمال حرف العطف «ثم» الدال على الترتيب والتراخي في الزمن بين الأفعال التي يربط بينها، قال تعالى «فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين «المؤمنون: ١٤».

مرحلة النشأة

وحول وصف التخلق البشري في مرحلة النشأة يدور البحث الخامس حيث تبدأ هذه المرحلة في الأسبوع التاسع ويكون معدل النمو بطيئاً حتى بداية الأسبوع الثاني عشر وحينئذ يدخل طوراً جديداً من النمو السريع والتغير الكبير، وقد ذكر القرآن الكريم هذا الطور في الآية الكريمة: «ثم أنشأناه خلقاً آخر» «المؤمنون: ١٤»، وتستمر مرحلة النشأة حتى نهاية الحمل أي إلى الأسبوع الثامن والثلاثين.

وعن تحديد الجنس يقول البحث: ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي ثلاث خطوات تحدد نمو الخصائص الجنسية «التذكير والتأنيث»، وتحدث الخطوة الأولى في مرحلة النطفة عند التقاء الأمشاج أما الخطوة الثانية، وهي تمايز غدتي التناسل على شكل خصيتين أو مبيضين، فإنها تحدث خلال مرحلة الكساء باللحم «في الأسبوع التاسع»، وتحدث الخطوة الثالثة وهي: تميز الأعضاء التناسلية الخارجية خلال مرحلة النشأة، كما يشير إلى ذلك الحديث الشريف الذي رواه مسلم، وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال يا رب أذكر أم أنثى، فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك.

وجاء البحث السادس ليتحدث عن أطوار خلق الإنسان في الأيام الأربعين الأولى، حيث دلت نصوص القرآن الكريم على أن الإنسان يخلق على أطوار ومراحل متتالية، قال تعالى: «وقد خلقكم أطواراً» «سورة نوح: ١٤»، قال تعالى: «يخلقكم في

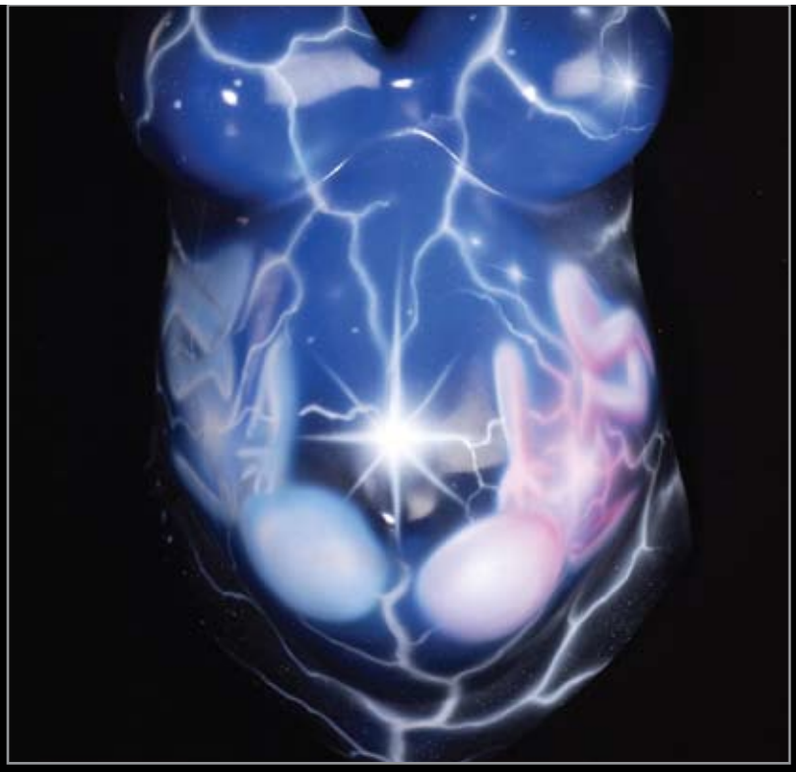

بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث...» «سورة الزمر: ٦»، وقد بينت نصوص السنة النبوية أن الأسبوع السابع يمثل نقطة تميز واضحة في حياة الجنين، كما وصفت هيئة الجنين في الأربعين يوماً الأولى ثم حالته بعد ذلك، حيث روى مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد».

وتناول البحث السابع وصف التخلق البشري بعد اليوم الثاني والأربعين، حيث يتكون في بداية الأسبوع السابع من النمو ـ أي عند حلول اليوم الثاني والأربعين ـ الهيكل العظمي الغضروفي، الذي يعطي الجنين شكله الآدمي الخاص، فيستقيم جذعه ويتكون له رأس كبير مستدير وتتحرك العينان إلى الأمام في محلهما في الوجه فيتحلى الشكل الآدمي للجنين، كما أن الأذنين الخارجية والداخلية تتكونان بعد اليوم الثاني والأربعين وتكتسبان الشكل الآدمي، أما الأذرع التي ظهرت على شكل براعم في نهاية الأسبوع الرابع فتصبح أكثر طولاً بعد اليوم الثاني والأربعين وتظهر أصابع واضحة لم تكن موجودة قبل ذلك، أما مؤخرة العمود الفقري البارزة فتتراجع وتعتدل تاركة أثراً لا يكاد يلاحظ، وقد دلت دراسات أجنية الإنسان على ظهور بعض الصفات السلوكية الخاصة المشابهة لصفات والديهم، حيث يكون للجنين شخصية خاصة مميزة.

المصطلحات القرآنية وأطوار التخلق البشري

ويؤكد الباحث في البحث الثامن أنه حتى وقت قريب لم يكن معروفاً أن القرآن الكريم والسنة المطهرة يتضمنان مصطلحات دقيقة تتعلق بمراحل التخلق البشري إلا عند المسلمين، لم تكن هذه المصطلحات مفهومة بوضوح حتى وقت قريب، لأنها تشير إلى تفاصيل في عملية التخلق، لم تكن معروفة في الماضي.

إن المنهج القرآني لتقسيم مراحل تخلق الأجنة يدعو إلى الدهشة حقاً ويعود تاريخه كما هو معلوم إلى القرآن السابع الميلادي، ووفقاً لما نعرفه عن تاريخ علم الأجنة، لم يعرف إلا النذر اليسير عن تقسيم الأجنة البشرية ومراحلها حتى السنوات المئة الأخيرة، وبالتالي فإن القرآن الكريم هو أول مصدر يذكر الأطوار المتميزة للجنين قال تعالى: «يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق من ظلمات ثلاث» «سور ة الزمر: ٦»، كما أعطى القرآن الكريم تسمية خاصة لكل مرحلة من مراحل الخلق، ومن خلال دراسة هذه المصطلحات يتجلى لنا أنها تستوفي كل الشروط الضرورية اللازمة للتسميات المثالية، إذ يبرز فيها التطابق والوضوح بالنسبة لكل مرحلة من مراحل تطور الجنين، ولهذا السبب لا يمكن أن يعزى تفسير وصف الجنين البشري الوارد في القرآن الكريم إلى المعرفة العلمية السائدة في القرن السابع الميلادي، والاستنتاج الوحيد المعقول في هذا المجال: هو أن الله سبحانه أوصى بذلك إلى رسوله صلى الله عليه وسلم النبي الأمي الذي لم يمارس في حياته نشاطاً علمياً قط في هذا المجال أو غيره.

المعلومات الجنينية وتوافقها مع الآيات القرآنية

ويدور البحث الأخير حول توافق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مع الحقائق العلمية الحديثة في علم الأجنة، حيث ذكر القرآن الكريم والسنة المطهرة منذ أربعة عشر قرناً مضت الحقيقة العلمية بأن الخلق البشري يتم على مراحل، ولم تكن هذه الحقيقة معروفة للعلماء من غير المسلمين حتى منتصف القرن التاسع عشر، كما أن كثيراً منهم يعتنق النظرية الإغريقية بأن الجنين يتخلق من دماء المحيض قبل اختراع الميكروسكوب في القرن السابع عشر.

هـــارون الرشـــيد
الخليـــفة المفتـــرى عليـــه

د. قطب فاروق رجب - جامعة الخليج - البحرين

هو هـارون بـن محمد بـن عـبـدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ويلقب بهارون الرشيد حوالي (٧٦٣هـ) (٢٤ مـارس ٨٠٩م)، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم، يعتبر ألمع اسم لا في تـاريـخ الخلافة فحسب، بل في تاريخ الدولة الإسلامية في العصور الوسطى، ذلك أنـه الاسم الـذي يـرتبط بعظمة الدولة واتساع مساحتها، وازديـاد ثروتـها، واتساع نشاطها في ميادين السلم والحرب.

تعرض تاريخـه للتشـويه والتزويـر مـن خلفـاء الإسـلام، مـع أنـه مـن أكثر خلفاء الدولة العباسـية جهـاداً وغزواً واهتماماً بالعلـم والعلماء، وبالرغم من هـذا أشـاعوا عنه الأكاذيـب وأنه لاهم لـه سـوى الجـواري والخمـر والسـكر، ونسجوا في ذلك القصص الخرافية ومن هنا كان إنصاف هذا الخليفة واجباً على كل مـؤرخ مسـلم. وكتـب التاريـخ مليئة بمواقف رائعة للرشـيد في نصـرة الحق وحـب النصـيحة وتقريـب العلمـاء لا ينكرها إلا جاحـد أو مزور، ويكفيه أنه عـرف بالخليفة الذي يحـج عاماً ويغزو عاماً.

نشأته:

ولد هارون في ١٤٨ هجرية كان مولده بالري حين كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان.

نشأ الرشيد في بيت ملك، وأُعد ليتولى المناصب القيادية في الخلافة، وعهد به أبوه الخليفة أبوعبدالله محمد المهدي إلى من يقوم على أمره تهذيباً وتعليماً وتثقيفاً، حتى إذا اشتد عوده واستقام أمره، ألقى به أبوه في ميادين الجهاد، وجعل حوله القادة الأكفـاء، يتأسى بهم، ويتعلم من تجاربهم وخبراتهم، فخرج في عام (١٦٥ هـ - ٧٨١م) على رأس حملة عسكرية ضد الروم، وعاد محملاً بأكاليل النصر، فكوفئ على ذلك بأن اختاره أبـوه ولياً ثانياً للعهد بعد أخيه أبو محمد موسى الهادي.

توليه الخلافة:

تمت البيعة للرشيد بالخلافة في (١٤ من شهر ربيع الأول ١٧٠ هـ - ١٤ من سبتمبر ٧٨٦م)، بعد وفاة أخيه موسى الهادي، وكانت الدولة العباسية حين آلت خلافتها إليه مترامية الأطراف كثيراً تمتد من وسط آسيا حتى المحيط الأطلـنـطي، معرضة لظهور الفتن والثورات، تحتاج إلى قيادة حكيمة وحـازمـة بـفـرض سلطانها الأمـن والسلام، وتنهض سياستها بالبلاد، وكان الرشيد أهلاً لهذه المهمة الصعبة في وقت كانت فيه وسائل الاتصال شاقة، ومتابعة الأمور مجهدة.

أعماله:

بتوليه الحكم بـدأ عصر زاهـر كان واسطة العقد في تاريخ الدولة العباسية التي دامت أكثر من خمسة قرون، ارتقت فيه العلوم، وسمت الفنون والآداب، وعمَّ الرخاء ربوع الدولة الإسلامية. ويزداد إعجابك بالرشيد حين تعلم أنه أمسك بزمام هذه الدولة وهو في نحو الخامسة والعشرين من عمره فأخذ بيدها إلى ما أبهر الناس من مجدها وقوتها وازدهـار حضارتها. وأنشأ ما يعرف ببيت الحكمة وزودهـا بأعداد كبيرة من الكتب والمؤلفات من مختلف بقاع الأرض. وكانت تضم غرفاً عديدة تمتد بينها أروقـة طويلة، وخُصصت بعضها للكتب، وبعضها للمحاضرات، وبعضها الآخـر للناسخين والمترجمين والمجلدين. وغـدت بغداد قبلة طلاب العلم من جميع البلاد، يرحلون إليها حيث كبار الفقهاء والمحدثين والقراء واللغويين، وكانت المساجد الجامعة تحتضن دروسهم وحلقاتهم العلمية التي كان كثير منها أشبه بالمدارس العليا، من حيث غـزارة العلم، ودقـة التخصص، وحـريـة الـرأي والمنـاقـشـة، وثـراء الجدل والحـوار. كما جذبت المدينة الأطبـاء والمهندسين وسائر الصناع. وكان الرشيد نفسه يميل إلى أهل الأدب

والفقه والعلم، حتى ذاع صيت الرشيد وطبق الآفاق ذكره، وأرسلت بلاد الهند والصين وأوروبا رسلها إلى بلاطه تخطب وده، وتطلب صداقته.

الرشيد والبرامكة:

أحاط الرشيد نفسه بكبار القادة والرجال من ذوي القدرة والكفاءة وخاصةً من البرامكة أمثال يحيى بن خالد البرمكي، وهم من أصل فارسي، حتى حدث نزاع بين الخليفة الرشيد والبرامكة لقلقه من تحكمهم، فأوقع بهم في ليلة واحدة ونتج عن ذلك أن حبسهم وعلى رأسهم كبيرهم وأميرهم يحيى بن خالد البرمكي.

مواقف لا تنسى:

كانت شهرة هارون الرشيد قبل الخلافة تعود إلى حروبه ضد الروم، فلما ولي الخلافة استمرت الحروب بينهما، وأصبحت تقوم كل عام تقريباً. واضطرت دولة الروم أمام ضربات الرشيد المتلاحقة إلى طلب الهدنة والمصالحة، فعقدت إيريني ملكة الروم صلحاً مع الرشيد، مقابل دفع الجزية السنوية له في سنة ١٨١هـ، وظلت المعاهدة سارية حتى نقضها إمبراطور الروم، الذي خلف إيريني في سنة ١٨٦هـ، وكتب إلى هارون: «من نقفور ملك الروم إلى ملك العرب، أما بعد فإن الملكة إيريني التي كانت قبلي أقامتك مقام الأخ، فحملت إليك من أموالها، لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وافتد نفسك، وإلا فالحرب بيننا وبينك».

فلما قرأ هارون هذه الرسالة ثارت ثائرته، وغضب غضباً شديداً، وكتب على ظهر رسالة الإمبراطور: «من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام».

وخرج هارون بنفسه في ١٨٣ هـ، حتى وصل هرقلة واضطر نقفور إلى الصلح والموادعة، وحمل مال الجزية إلى الرشيد كما كانت تفعل إيريني، من قبل، ولكنه نقض المعاهدة بعد عودة الرشيد، فعاد الرشيد إلى قتاله في عام ١٨٨هـ وهزمه هزيمة منكرة، وقتل من جيشه أربعين ألفاً، وجُرح نقفور نفسه.

كان الرشيد على غير ما تصوره بعض كتب الأدب، دينا محافظاً على تكاليف الإسلام، وصفه مؤرخوه أنه كان يصلي في كل يوم مئة ركعة إلى أن فارق الدنيا، وينفق على الفقراء من ماله الخاص، ولا يتخلف عن الحج إلا إذا كان مشغولاً بالغزو والجهاد، وكان إذا حج صحبه الفقهاء والمحدثون.

وظل عهده مزاوجة بين جهاد وحج، حتى إذا جاء عام ١٩٢هـ فخرج إلى خرسان لإخماد بعض الفتن والثورات التي اشتعلت ضد الدولة، فلما بلغ مدينة طوس اشتدت به العلة وتُوفي في ٣ من جمادى الآخر ١٩٣ هـ ٤ من إبريل ٨٠٩م بعد أن قضى في الخلافة أكثر من ثلاث وعشرين سنة، عدت العصر الذهبي للدولة العباسية. يقال إنه قد بنى قبره قبل موته بفترة وكان يدوم على زيارة هذا القبر وكان يدعو الله ويبكي ويقول يا من لا يزول ملكك ارحم من زال ملكه.

ويعتبر عصر هارون الرشيد واسطة العقد بالنسبة للخلافة الإسلامية أو قل بالنسبة للتاريخ الإسلامي الوسيط

أحاط الرشيد نفسه بكبار القادة والرجال من ذوي القدرة والكفاءة وخاصة من البرامكة أمثال يحيى بن خالد البرمكي

كله، فقد اكتملت للدولة ألوان من العظمة والقوة والمجد العلمي، وكانت الدولة مهيبة الجانب، فاحترمتها الدول المجاور وهابتها. استخلف هارون الرشيد بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومئة.

حدث عن أبيه وعن جده ومبارك بن فضالة وروى عنه ابنه المأمون وغيره وكان من أميز الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، وكان يحج سنة، ويغزو سنة، قال فيه أبو المعالي الكلابي:

فمن يطلب لقاءك أو يرده
فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففي أرض العدو على طمر
وفي أرض الترفه فوق كور

مولده بالري حين كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان، وكان أبيض طويلاً جميلاً مليحاً فصيحاً له نظر في العلم والأدب.

وكان يصلي في خلافته في كل يوم مئة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلا لعلة

يعتبر عصر هارون الرشيد واسطة العقد بالنسبة للخلافة الإسلامية أو قل بالنسبة للتاريخ الإسلامي الوسيط كله، فقد اكتملت للدولة ألوان من العظمة والقوة والمجد العلمي

ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم.

حبه للعلم والعلماء:

كان يحب العلم وأهله ويعظم حرمات الإسلام ويبغض المراء في الدين والكلام في معارضة النص.

قال أبو معاوية الضرير: ما ذكرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين يدي الرشيد إلا قال صلى الله على سيدي وحدثه بحديثه صلى الله عليه وآله وسلم: «وودت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيا فأقتل» فبكى حتى انتحب.

ذكاء الخليفة:

دخلت امرأة على (هارون الرشيد) وعنده جماعة من أصحابه، فقالت: يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وفرّحك بما آتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت؛ فقال لها: من تكونين؟ فقالت: من أهل (برمك) ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم، فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود إليك ثم التفت إلى أصحابه الحاضرين، فقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة؟ فقالوا: ما نراها قالت إلى خيراً، قال: ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك: أي أسكنها عن الحركة وإذا سكنت العين عن الحركة عميت؛ وقولها: وأتم الله سعدك أخذتها من قول الشاعر: إذا تم أمر بدا نقصه... ترقب زوالا إذا قيل تم.

وأما قولها: لقد حكمت فقسطت، فأخذته من قول الله تعالى: (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) فتعجب أصحابه من قولها.

هنا فصاحة من امرأة (مغبونة) على ما أصاب أهلها وهناك خليفة للمسلمين لم يغفل عن معانيها حين غفل الآخرون. وإن من البيان لسحرا ولكن السحر يخفى عمن لا يتغورون في معانيها.

وفاته:

مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان ودفن بها في ثالث من جمادى الآخر سنة ثلاث وتسعين ومئة وله خمس وأربعون سنة وصلى عليه ابنه الصالح قال الصولى خلف الرشيد مئة ألف ألف دينار ومن الأثاث والجواهر والورق والدواب ما قيمته ألف ألف دينار وخمسة وعشرون ألف دينار. وقيل ان الرشيد رأى مناماً أنه يموت بطوس فبكى وقال احفروا لي قبراً فحفر له ثم حمل في قبة على جمل وسيق به حتى نظر إلى القبر فقال يا ابن آدم تصير إلى هذا وأمر قوماً فنزلوا فختموا فيه ختماً وهو في محفة على شفير القبر ولما مات بويع لوالده الأمين في العسكر وهو حينئذ ببغداد فأتاه الخبر فصلى الناس الجمعة وخطب ونعى الرشيد إلى الناس وبايعوه.

الهوامش:

(١) عيسى بن جعفر بن المنصور، أخو زبيدة زوج الرشيد، وابن عمه، وقائد من قواد بني العباس، وأمير من أمرائهم، توفي قتيلاً سنة ١٨٥هـ. الأعلام ٥/١٠٢.

(٢) ربيع الأبرار ١/٦٧٢ - ٦٧٣، ووفيات الأعيان ٦/٣٣٧، ونثر الدرر ٢/١٦٥.

(٣) التذكرة الحمدونية ٨/٢٤٩، والبصائر ٧/١٢٢.

(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك ص ١٥٨، والديباج المهب ٢/٣٤، وتاريخ قضاة الأندلس ص ٣١-٣٢.

(٥) وكيع بن الجراح بن مليح، أبو سفيان الرؤاسي، حافظ للحديث ثبت، كان محدث العراق في عصره، عرض الرشيد عليه القضاء فأبى، كان مولده بالكوفة سنة ١٢٩هـ، وله جملة من المصنفات، وتوفي سنة ١٩٧هـ، تاريخ بغداد ١٣/٤٩٦.

(٦) سير أعلام النبلاء ٩/١٥١، وأخبار القضاة ٣/١٨٤.

(٧) إحياء علوم الدين ص ١/٣٢، وتاريخ دمشق الكبير ٦٩/٢٢٠.

(٨) رواه الإمام أحمد في مسنده بلفظ قريب، ٢٨/١٢١، رقم الحديث: ١٦٩١٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ورجاله ثقات؛ رجال الشيخين.

(٩) نشوار المحاضرة ٦/١٨٦.

(١٠) إنباه الرواة ٧٤-٨.

(١١) ربيع الأبرار ٣/٦٧٩.

(١٢) البصائر والذخائر ٧/٦٦.

(١٣) الفضل بن سهل بن يزْدَا نَفْروخ، أبو العباس السرخسي، ولد سنة ١٥٤هـ، وكان مجوسياً وأسلم سنة ١٩٠هـ، وكان يلقب بذي الرئاستين؛ لأن المأمون ولاه الوزارة وقيادة الجيش، وكان حازماً عاقلاً وشاعراً فصيحاً، قتل سنة ٢٠٢هـ، وفيات الأعيان ٤/٤١.

(١٤) المحاسن والأضداد ص ١٤، والمحاسن والمساوئ ص ٤٣٧-٤٣٨.

يارب

شعر: عبد الحكيم الأنيس
كبير باحثين أول في دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري - دبي

العمر يمضي والشَجيُّ مُبَلْبَلُ ... والهمُّ في القلب الجريح يجلجلُ
وأنا وآهٌ ما فتئتُ أعيشها ... في النفس يُصعدها الأنينُ ويُنزلُ
تحت الظلام المرِّ أهتف خاشعاً ... يا ربِّ عبدٌ عند بابك يسألُ
يا ربِّ ما لي غير بابك ملجأ ... وإذا سددتَ فأي بابٍ أدخلُ
أمّلتُ منك العونَ فأذنْ لي به ... ما خابَ عبدٌ ربه يتأملُ
في النفس همٌ ليسَ يعلم ثقلَهُ ... أحدٌ سواك فهل يخفُّ ويرحلُ
تمضي السنونُ عليَّ في ألمٍ وذا ... قلبي على شوكِ الأسى يتململُ
أدعوكَ دعوةَ ضارعٍ متلهفٍ ... وبكلِّ ما أحببتَه أتوسلُ
حوِّلْ ركابَ الهمِّ عني سيدي ... فبغيرِ لطفٍ منكَ لا يتحولُ
مما عرا قلبي ذُهلتُ ومثلُ ما ... عاناه قلبي من شجونٍ يُذهلُ
والآن قَدْ أقبلتُ نحوكَ راجياً ... يا خيرَمَنْ يُنحى إليه ويُقْبَلُ
وتمثلتْ روحي المرادَ وظنُّها ... أَنْ لا تردَّ بغيرِ ما تتمثلُ
وكأنَّ عونَكَ قَدْ أَطلَّ وكيفَ لا ... والقلبُ يا ربي عليك يُعَوِّلُ
الفضلُ فضلُكَ حينما تتفضلُ ... والجودُ جودكَ حينما يتجلّلُ
أدركْ بلطفكَ لهفتي وتوجعي ... واسمحْ بغيثك لي فها أنا أذبلُ
عَجِّلْ بفضلك يا قريب إجابتي ... إني لفضلكَ ظامئٌ متعجلُ

الجينات الوراثية والحماية الجنائية

للحق في الخصوصية - دراسة مقارنة

د. أشرف توفيق شمس الدين - أستاذ ورئيس قسم القانون الجنائي، ووكيل كلية الحقوق، جامعة بنها، مصر

للمعلومات الجينية أهمية كبيرة على حياة الشخص ومركزه الاجتماعي. فبمقدورها أن تحدد على وجه الجزم هويته، وبمقدورها الإفصاح عن ملامحه وصفاته العضوية وميوله ونزعاته الشخصية. وبمقدورها كذلك أن تخبرنا عن الأمراض التي يعانى منها الشخص في الحاضر والمستقبل، وسواء للشخص ذاته أم أقربائه، كما أن لها القدرة أيضاً على تحديد نسب الشخص لأبويه.

وإذا كان التقدم العلمي في مجال الجينات الوراثية قد أثار الكثير من المسائل التي تتصل بالعلم والقانون والدين والأخلاق، فإن هذا التقدم قد أفضى كذلك إلى إثارة الكثير من التساؤلات التي تتصل بحقوق الأفراد وحرياتهم.

فقد أثار هذا التقدم مجدداً التساؤل عن الحدود الفاصلة بين ما يدخل في نطاق الحياة الخاصة للفرد التي يجب أن يقف عندها الغير وألا يتجاوزها؛ وبين ما يخرج عن هذا النطاق. كما أثار هذا التطور التساؤل عما إذا كان كانت هذه الخصوصية تتعارض مع حرية البحث العلمي وما يحمله من آفاق واسعة للتقدم وخدمة البشرية، أيمكن في هذه الحالة أن نقيد الحق في الخصوصية لتحقيق هذه المصلحة العامة، أم أن خصوصية الفرد لا تقل أهمية عن هذه المصلحة؟ بل لقد أثار هذا التقدم العلمي الشك عن وجود الحق في الخصوصية أصلاً، ذلك أن هذا التقدم العلمي والتقني قد جعل الكثير من جوانب الحياة الخاصة للفرد محلاً لإطلاع الغير عليها، فضلاً عن هذا التقدم قد كشف الكثير من الأسرار الخاصة التي كان الفرد يحرص على إخفائها وعدم السماح للآخرين بالإطلاع عليها والتنقيب فيها.

إذا كانت حرية البحث العلمي من المبادئ المسلم به، لما للتقدم العلمي من دور في تطور المجتمع ونهضته، فإنه من المسلّم به أيضاً أن هذه الحرية يجب ألا تكون على حساب حقوق الأفراد وحرياتهم، وإلاّ هدد ذلك الاستقرار والأمان في المجتمع.

ويثير البحث التساؤل عن مدلول الحق في الخصوصية الجينية؟ وعن عناصر هذا الحق، وما إذا كان يتماثل مع الحق في الحياة الخاصة الذي كفلته الدساتير ونصت عليه التشريعات؛ أم أنه يتصف بالتميز والاستقلال عنه على نحو يكون جديراً معه بالنص عليه استقلالاً؟ فما الذي يضير الشخص من كشف معلوماته الجينية؟ وما هو مقدار أهمية ما يمكن أن تفصح عنها الجينات الوراثية؟ وتثير الدراسة التساؤل عن تحديد نطاق هذا الحق والصلة بين هذا الحق وبين غيره من الحقوق؟ وهل يختلط هذا الحق ببعض الحقوق والمصالح الأخرى على نحو يوجب تمييزه عنها؟ كما ثار التساؤل عما إذا كانت الحماية المقررة لبعض الحقوق الأخرى كافية لصيانة الحق في الخصوصية الجينية، أم أن هناك حاجة إلى تخصيص حماية مستقلة لهذا الحق؟ وإذا كان لكل حق حدوده، فما هي الحالات التي يجوز فيها المساس المشروع بهذا الحق؟ وما هي أهم الأفعال التي تنال منه وتنطوي على مساس به؟

وما هي خطة التشريعات التي تفرد نصوصاً خاصة لحماية الحق في الخصوصية الجينية في تجريم هذه الأفعال؟ وما هو الوضع في التشريعات التي تخلو نصوصها من حماية خاصة لهذا الحق؟ وهل تكفى نصوص التجريم العامة الخاصة بجرائم أخرى لصيانته من الأفعال الماسة به؟ وهل تكفل النصوص العامة حماية كافية من الحصول على المادة الجينية من الشخص رغم إرادته؟ وهل تضمن عدم إساءة استخدام المعلومات الجينية التي تم الحصول عليها؟ وهل تمتد هذه الحماية إلى المعلومات التي يتم تخزينها بطرق إلكترونية على نحو يضمن عدم إطلاع الغير عليها دون إرادة صاحبها؟

ويتصف موضوع البحث بقدر من الدقة ؛ فهو يتناول بالدراسة بعض الجوانب القانونية لعلم الجينات، وهو علم يتسم بالحداثة

وسرعة التطور، ويتصف كذلك بسرعة ما يتم التوصل إليه من نتائج وتلاحقها، مع التسليم بأهميتها البالغة على الفرد والمجتمع. الأمر الذي يجعل من الصعب على علم القانون أن يتوقع هذه النتائج وأن يحيط بها وأن يضع لها التنظيم المناسب الذي يضمن كفالة حقوق الأفراد وحرية البحث العلمي.

وقد أفضت حداثة الموضوع كذلك إلى غياب النصوص التشريعية في الكثير من الأنظمة القانونية، وحتى بالنسبة للتشريعات التي أفردت نصوصها حماية خاصة للحق في الخصوصية الجينية فإن هذه النصوص تتصف -مع ذلك- بقلتها وندرة ما عرض على القضاء من وقائع توجب تطبيقها، وقلة الكتابات الفقهية التي تناولتها بالدراسة؛ بل وتتصف بكثرة التعديلات المتلاحقة التي تمت عليها في وقت قصير نسبياً، وهو ما يجعل من متابعة هذه التعديلات أمراً يتصف بقدر من الصعوبة.

وقد قسمت الدراسة إلى ثلاثة فصول وخاتمة. تناول الفصل الأول ماهية الحق في خصوصية المعلومات الجينية، وفى الفصل الثاني نبحث نطاق هذا الحق وتمييزه عما قد يختلط به من حقوق وحدود المساس المشروع به. ونخصص الفصل الثالث لدراسة الأفعال الماسة بهذا الحق. وفي الخاتمة نخلص إلى أهم نتائج الدراسة.

وقد أظهرت الدراسة أن هناك اعتبارات تدعو إلى إفراد الحق في الخصوصية الجينية بحماية جنائية مستقلة، وأن هذه الاعتبارات ترجع إلى أهمية المعلومات الجينية واتصالها الوثيق بصميم حياة الفرد وصحته ومركزه الاجتماعي، وإلى أن هذه المعلومات تكشف الكثير مما يحرص الفرد على إخفائه ورغبته في عدم إطلاع الغير عليه. وأوضحت الدراسة أن المعلومات الناتجة من الفحص الجيني قد يساء فهمها بدرجة كبيرة خارج المجال الطبي والعلمي، كما أنها ستغدو هدفاً يسعى أرباب العمل وشركات التأمين إلى الوصول إليه. ومما يزيد من أهمية هذه المعلومات أن مصدرها يبقى صالحاً دون اعتبار لمضى الزمن، سواء بالنسبة إلى الشخص أو والديه وأقربائه.

وقد ساهمت عدة اعتبارات أخرى في وجوب إسباغ الحماية على الحق في الخصوصية الجينية منها: سهولة المساس بهذه الخصوصية نظراً لتطور تقنية الكومبيوتر؛ انتفاء الثقة العامة في أنظمة الحفظ الرسمية التي تضمن الخصوصية؛ عدم إحكام الرقابة الكافية على بنوك معلومات البصمة الوراثية؛ مركزية حفظ المعلومات الطبية مما يسهل الإطلاع عليها؛ الاتساع المحتمل في استخدام المعلومات المخزنة فيما يجاوز الغرض الأصلي الذي حفظت من أجله؛ سهولة الحصول على البصمة الوراثية للشخص؛ بقاء هذه البصمة مدة طويلة من الزمن صالحة لإجراء الفحص عليها؛ القيمة التنبؤية الكبيرة للبصمة الوراثية في المستقبل، والتي تزداد بزيادة تقدم العلم؛ قطعية نتائج الفحص الجيني وثبات النتائج المتمخضة عنه؛ امتداد نتائج الفحص الجيني إلى كشف معلومات تتصل بأقرباء الشخص.

ومن الاعتبارات أيضاً أن هذه الحماية تجد سندها من الاتصال الوثيق للحق في الخصوصية الجينية ومجموعة مهمة من الحقوق والحريات، على نحو تشكل الحماية المقررة للحق في الخصوصية حماية لها أيضاً. كالحماية من التمييز العنصري؛ الحماية من التمييز في محيط التأمين والعمل والبنوك والتعليم والإخصاب الصناعي؛ حماية حقوق الملكية الفكرية؛ كفالة حرية البحث العلمي.

وأوضحت الدراسة أن هناك اعتبارين متعارضين يجب على القانون أن يوازن بينهما: الأول أن المبالغة في حماية الخصوصية الجينية قد يؤدى إلى إلحاق الضرر بالغير حسن النية، وإلى عدم اكتمال المعلومات عن الشخص ومن ثم عدم دقتها، الأمر الذي يؤدى إلى الخطأ في اتخاذ القرارات التي تتصل بهذا الشخص وإلى إساءة التقدير. كما قد يؤدى -في بعض الصور- إلى تهديد السلام الاجتماعي وإفلات الجناة من العقاب. والاعتبار الثاني: أنه إذا لم يتم كفالة حماية الخصوصية الجينية فإن كثيراً من الأفراد سيخشى من استغلال هذه المعلومات ضدهم أو ذويهم، وفي هذه الحالة قد يرون أن المنفعة المحتملة الناتجة من إجراء الفحص الجيني قد لا تساوي الخطر الناجم من إجرائه، وعندئذ سيقررون عدم القيام بمثل هذا الفحص. وهو من شأنه أن يحرمهم من الفوائد الطبية التي يمكن تصورها، ويحرم العلم كذلك من ثمارها. كما أن حماية الخصوصية الجينية يؤدي إلى توفير الأمن والاستقرار للشخص من أن حياته لن تكون كتاباً مفتوحاً للآخرين.

وقد تصدت الدراسة لوضع تعريف للحق في الخصوصية الجينية، فأوضحت بأنه حق المرء في أن يقرر لنفسه ما هي المعلومات الجينية التي يمكن للغير معرفتها، وحقه في أن يقرر ماهية هذه المعلومات التي يرغب هو في معرفتها عن نفسه. وأنه لا يكفي فقط موافقة الشخص على إجراء الاختبار الجيني؛ بل يجب أن يحاط علماً بالنتائج التي قد تنجم عن هذا الاختبار ومدى خطورتها له وللغير، وأن يعطى الحق في أن يقرر العلم بها.

وقد دلت الدراسة على أنه رغم وجود تشابه ونقاط التقاء بين الحق في الخصوصية الجينية وبعض الحقوق المشمولة بحماية الشارع: كالحق في حرمة الحياة الخاصة والحق في الشرف والاعتبار والحماية المقررة للأسرار وللمعلومات وحماية الحق في سلامة الجسم؛ إلا أن التحليل الدقيق أظهر عدم التطابق في المدلول وفى نطاق الحماية بين الحق في الخصوصية الجينية وبين هذه الحقوق، وأن الحماية المقررة لهذه الحقوق لا تكفى لحماية الحق في الخصوصية الجينية.

وقد دعت الدراسة إلى وضع الضوابط القانونية للحالات التي يجوز فيها الحصول على البصمة الوراثية برضاء الشخص، وشروط هذا الرضاء ومدى تبصره، ووجب أن يمتد هذا الرضاء إلى حفظ البصمة وتحليلها وكشف نتائج فحصها ومدى أحقية

إطلاع الغير عليها وحدود ذلك. كما يجب بيان حقوق الأفراد على هذه العينات وما ينتج عن تحليلها من معلومات.

وقد تناولت الدراسة أهم الحالات الأخرى التي يجوز فيها المساس بالحق في الخصوصية الجينية وهى صدور أمر قضائي والكشف للأغراض العلمية والضرورات الطبية. ودعت الدراسة إلى إن إفشاء المعلومات الجينية في هذه الحالات يجب أن يكون مقيداً بأن يكون في إطار الحد الأدنى الضروري منها وبالقدر اللازم للغرض الذي كشفت هذه المعلومات من أجله. وأن يوازن الشارع بين مقدار الضرر الذي يلحق للأفراد من هذا الإفشاء، ومدى النفع العائد على المجتمع من ذلك.

وقد كشفت الدراسة أن نصوص القانون المصري وقوانين أغلب الدول العربية قد خلت من النص على تخويل سلطات التحقيق والمحاكمة سلطة إخضاع المتهم للفحص الجيني. وأنه على الرغم من ذلك فإن أحكام محكمة النقض قد استقرت على تخويل سلطة الضبط والتحقيق الحق في أخذ عينة من دماء المتهم وتحليلها وذلك استناداً إلى الحق في التفتيش المخول لهما، وقد أيدها بعض الفقه في ذلك. وقد أوضحت الدراسة أن هذه الوجهة محل نظر، ذلك أن الإجراءات التي تمس بحرية الفرد وتنطوي على تهديد بالغ بحقه في الخصوصية يجب أن ينص القانون على ضوابطها، وأن يحدد السلطة التي لها الحق في اتخاذها وضمانات الأمر بها. ولا يجوز قياس الحصول على الجينات الوراثية على التفتيش الذي تملكه سلطات الضبط والتحقيق، ذلك أن هذا التفتيش يقتصر على البحث فيه على شيء محدد يستنفذ غرضه بالقيام به أياً كانت النتيجة التي أسفر عنها هذا التفتيش. أما في التحليل الجيني فإن النتيجة التي قد يسفر عنها تتجاوز بكثير الغرض التي تم التحليل من أجله، إذ أن هذا التحليل يفصح عن الكثير من المعلومات والبيانات السابقة والحاضرة والمستقبلة لشخص المتهم وأقربائه، كما أن قيمة هذا التحليل التنبؤية تزداد مع الوقت. وأن احتمال كشف ما تمخض عنه هذا التحليل من معلومات يظل كبيراً، ولاسيما مع حفظ نتائجه في قواعد البيانات. ولذلك فإنه لا يصلح في تقديرنا قياس أخذ عينة جينية على التفتيش بمعناه التقليدي.

وإذا كانت نصوص القانون المصري وأغلب الدول العربية قد خلت من وضع الضوابط على المساس المشروع بالحق في الخصوصية الجينية؛ فإن خطة الكثير من التشريعات المقارنة تذهب إلى العكس من ذلك، كالقانون الألماني والفرنسي والأمريكي والكندي؛ إذ تفرد هذه التشريعات نصوصاً خاصة تضع بمقتضاها ضوابط هذا المساس.

وقد بينت الدراسة عدم دستورية بعض التشريعات المقارنة التي تعلق استفادة المتهم بنظم إطلاق السراح المقيد بخضوعه لأخذ عينة جينية منه، ذلك أن مثل هذه النصوص تنال من حق الفرد في الخصوصية الجينية، وأن الحصول على البصمة الوراثية في هذه الحالة لا يكون بقصد مساعدة العدالة في كشف الحقيقة في دعوى يجري التحقيق فيها، ومن ثم ينتفي المبرر المعقول للمساس به.

وقد اقترحت الدراسة تأصيلاً للأفعال الماسة بالحق في الخصوصية الجينية بردها إلى طوائف ثلاث: الأولى تتعلق بإجراء فحص للبصمة الوراثية بهدف الحصول على معلومات لها أهميتها وتمس بخصوصية الشخص، والثانية تتصل بإفشاء المعلومات الناتجة عن الفحص الجيني الذي تم إجرائه، والثالثة تتصل بالاستخدام غير المشروع لهذه المعلومات. ويتميز هذا التأصيل في تقديرنا أنه يلتقي مع الترتيب الذي قد يلجأ إليه الجاني في المساس بالخصوصية الجينية.

وقد تناولت الدراسة خطة الشارع الفرنسي الذي جرم طائفة واسعة من الأفعال التي تحمى الخصوصية الجينية مثل: إجراء فحص جنى على شخص بغير رضاه والفحص غير المشروع الذي يستهدف تحديد شخصية صاحب البصمة الوراثية.

وقد بينت الدراسة أن هناك وجهة من التشريعات لا تنص على حماية الحق في الخصوصية الجينية ولا تضع نصوصاً خاصة بتجريم المساس به، مثل القانون المصري. وقد حاولت الدراسة تطبيق النصوص العامة التي تجرم أفعال السرقة على أفعال الاستيلاء على المادة الجينية، وأظهرت أن قيام الجاني بالحصول بالقوة على عينة من المادة الجينية للمجني عليه يوفر جريمة السرقة بالإكراه لما لها من طبيعة مادية، وهي بانفصالها عن الجسم تكتسب صفة المنقول. وقد استبقت الدراسة تناول بعض الصعوبات التي يمكن أن تثور نتيجة تطبيق هذه النصوص.

وأوضحت الدراسة مدى إمكانية تطبيق النصوص العامة على أفعال فحص البصمة الوراثية دون رضاء صاحبها وإتلاف وتزييف العينة الجينية والتعامل غير المشروع فيها، وخلصت الدراسة إلى تعذر تطبيق الكثير من النصوص العامة على هذه الأفعال، وإلى تطبيق بعض هذه النصوص في نطاق ضيق.

وقد تناولت الدراسة خطة التشريعات المقارنة كالقانون الفرنسي والأمريكي في تجريم إفشاء المعلومات الجينية وإساءة استخدام الغرض الذي أجرى الفحص الجيني من أجله. كما تناولت الدراسة ما نص عليه قانون الحماية من التمييز الجيني الأمريكي لسنة ٢٠٠٣، بتجريمه بعض الأفعال التي تتصل بالتمييز الجيني في محيط التأمين والعمل.

وتخلص الدراسة إلى الحاجة الملحة إلى إصدار تشريع خاص يكفل حماية الحق في الخصوصية الجينية، ويحدد ضوابط إباحة المساس المشروع بهذا الحق، ويجرم الأفعال التي تنال منه.

الإسلام والنور

عادل حسن المرزوقي - رئيس قسم الرقابة والتوجيه بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري - دبي

ما من كلمة أصدق ولا تعبير أدق من إخبار الله ﷻ عن حقيقة الإسلام بأنه نور، وعن واقع الكفر بأنه ظلمات كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(البقرة: ٢٥٧).

إنها حقيقة يجد المؤمن حلاوتها في قلبه، ويتذوق طعمها في كيانه، ويجني ثمارها في جميع مفردات حياته؛ وفي رؤيته للواقع، وتقديره للأشخاص، وتقييمه للأحداث، وتقويمه للأشياء.

وما أن يخرج الإنسان من نور الإسلام إلا ويعيش في ظلمة من الظلمات، أو في ظلمات مجتمعة، لأن الكفر ظلمات... ظلمات متنوعة... ومتعددة... ظلمة الهوى والشهوة والشهرة والنزعات... وظلمة الشرود والاندفاع في التيه... وظلمة الشك والقلق والحيرة والانقطاع عن الهدى... والوحشة من الجناب الآمن... وظلمة اضطراب الموازين... وتخلخل الأحكام... وتحلل القيم.

ولن ينقذ الناس من هذا الظلام... إلا نور الله المبين الذي يُشرق في قلوبهم بإذن الله، ويغمر أرواحهم، ويهديهم إلى فطرتهم وهي:

فطرة هذا الدين القيِّم: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(المائدة: ١٥-١٦).

وطريق الدعوة إلى الله نور على نور، فقد وصف الله نفسه بأنه نور السموات والأرض، فقال عز من قائل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(النور: ٣٥) ووصف نفسه بأن حجابه النور كما في الحديث الصحيح: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» رواه مسلم.

وجعل الله كتابه نوراً، كما في قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(التغابن: ٧).

وجعل الله دينه نوراً فقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الزمر: ٢٢).

فطريق الإسلام والإيمان بالله نور على نور غايتها وسبيلها ومعالمها، فالإسلام واضح المعالم، فقد قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾(النحل: ٨٩).

وتركنا رسول الله ﷺ على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولكن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

ولئن كان أعداء الله يحاربون نور الله سواء بما يطلقونه من أكاذيب ودسائس وفتن، وأنما يحرضون على حرب هذا النور وأهله، والوقوف سداً في وجهه، كما هو الواقع على مدار التاريخ، فإن الله عز وجل وعدنا بأنه سيتم نوره، ولو كره الكافرون، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(التوبة: ٣٢).

هذه الآية تصور الموقف الدائم لأعداء هذا المنهج النيِّر المتمثل في دين الله تعالى الحق الذي يهدى للتي هي أقوم.

وإن سنة الله تعالى التي لا تتبدل ولا تتحول، تؤكد أنه تعالى متم نوره بإظهار دينه ولو كره المشركون، فيمكرون لكن مكرهم هو يبور. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣).

إن هذا الوعد الإلهي حق تطمئن له قلوب الذين آمنوا، وتسكن له نفوس الذين اتقوا.

فيدفعنا هذا إلى المضي في طريق الله، لا يضرنا من خذلنا ولا من خالفنا، لأننا متيقنون أن هذا النور لابد أن يعم الأرض، لكنه يعمُّ بالمسلمين الدعاة الذي يمشون في الناس ليحيوا بنور الله الموتى، ويزيلوا الغشاوة عن أصحاب العمى.

قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(الأنعام: ١٢٢).

فما على المسلمين إلا أن يستضيئوا بنور الله، ويعتصموا بحبل الله وأن يسألوا الله جل وعلا أن يفيض عليهم من نوره بقدر ما كان النبي ﷺ يدعو كما في الحديث المتفق عليه «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قلبي نُورًا، وَفِي بصري نُورًا، وَفِي سمعي نُورًا، وَعَنْ يميني نُورًا، وَعَنْ يساري نُورًا، وفوقي نُورًا، وتحتي نُورًا، وأمامي نُورًا، وخلفي نُورًا، وَاجْعَلْ لي نُورًا».

ومن حصَّل هذا النور بإسلامه وإيمانه فعليه أن ينشره، ويدعو إليه، فالإسلام نور، وما النور إلا الإسلام.

تعاليم الإسلام تدعو إلى المحافظة على

الصحة الروحية والبدنية والنفسية

تحقيق – السيد محمود - صحافي - الإمارات

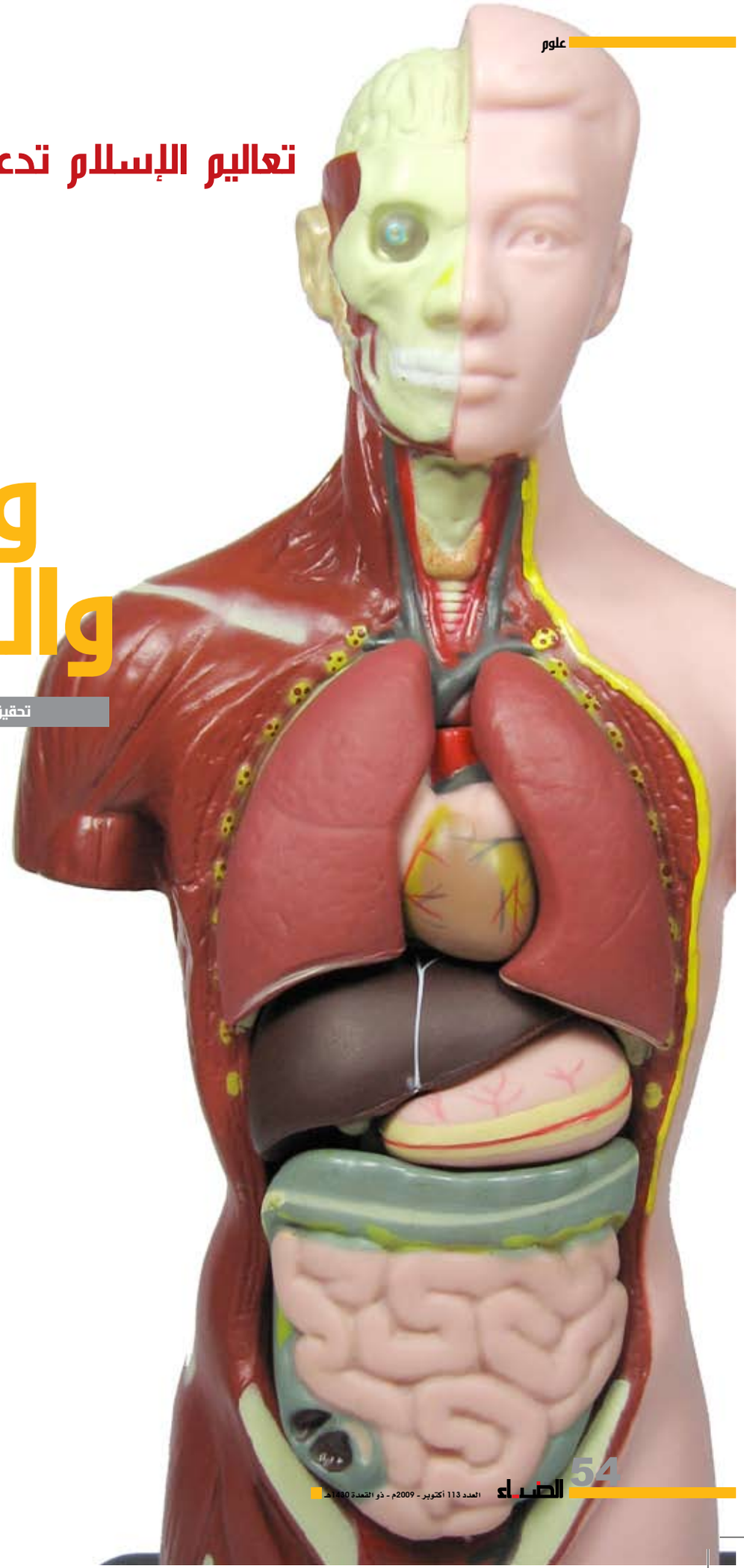

إن تعاليم الإسلام وشرائعه تدعو إلى المحافظة على الصحة الروحية والبدنية والنفسية وتنميها وترقيها إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه في هذه الحياة الدنيا، وهي تدل في ظاهرها على ارتباط وثيق بالطب وأهله، ومن ذلك ما ذكر من أنواع العلاج بالرقية والنبات والغذاء وعلاج الأمراض الروحية والجسدية وما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من أصول الطب ومجالاته المتنوعة، وقد كتب بعض رجالات أهل العلم في ذلك كتباً قيمة نافعة ككتاب (الطب النبوي) لابن القيم والذهبي – رحمهما الله -، ومن هنا فإنه يرى لتعاليم الإسلام مردودا حسناً على الصحة النفسية والروحية والبدنية، فعلى سبيل المثال نجد الصلاة وما يتقدمها من الطهارة والاستنجاء والوضوء واستخدام السواك، لها أعظم الأثر على صحة الإنسان وسمو روحه وطهارة بدنه وتجنبه الأمراض والأسقام النفسية والبدنية.

والإسلام لا يمنع من استخدام الأدوية المعنوية والإلهية بجوار الأدوية الطبيعية، وقد يُكتفى في بعض الأحيان بإحداهما دون الأخرى. والطب الجسماني مشروع، حتى مع وجود ذلك النوع من الطب الروحي، الذي يتجلى في الرقى الشرعية والتعاويذ النبوية. والنبي صلى الله عليه وسلم شرع لأمته هذا وذاك جميعاً، فتداوى، وشرع التداوي للأمة، وصحَّت أحاديثه القولية والفعلية والتقريرية في ذلك، وعُرف في عدد من كتب الحديث (كتاب الطب).

وتعتبر أمراض الكبد من اخطر الأمراض على الصحة العامة حيث يزيد عدد المصابين بهذا المرض عشر مرات عن المصابين بالايدز وأنفلونزا الطيور مما يحتاج إلى ايلائه الايلاء الكامل الذي يستحق فرغم وجود ٥٠٠ مليون إصابة بالتهابات الكبد الفيروسية B أو C في العالم - أي شخص من كل ١٢ شخصا - فانه لا يوجد وعي كاف ولا إرادة كافية لمكافحة هذين المرضي حيث ويتوفى مليون ونصف مليون شخص سنويا بسبب التهابات الكبد الفيروسية.

اكتشاف التهاب الكبد وأعراضها

يقول الدكتور أيمن مرقولي أخصائي أمراض الجهاز الهضمي والكبد إن اغلب اكتشاف حالات التهاب الكبد يكون عن طريق الصدفة البحتة وذلك عندما يقوم المريض بعمل فحوصات أنزيمات الكبد أو أي تحاليل أخرى ويكون المريض في مرحلة التهاب مزمن.

أعراض التهاب الكبد الحاد

وعن أعراض التهاب الكبد الحاد يوضح مرقولي إنها تكون عبارة عن:

- إرهاق حاد وشامل للجسم
- غثيان مع قيء شديدين
- انعدام الشهية للأكل
- آلام في الجانب الأيمن الأعلى للبطن مع تغير في لون البول (مثل لون الشاي) وتغير لون البراز حيث يكون فاتحا
- اصفرار في العينين

وعن أسباب فشل الكبد يوضح مرقولي إنها ترجع إلى مايلي

- التهابات فيروسية كبدية حادة

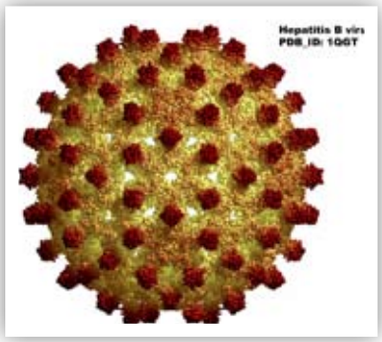

- تناول الكحول
- اضطراب في المناعة
- زيادة نسبة الحديد في الدم
- تراكم الدهون او ما يعرف باسم الكبد الدهني
- انسداد الأوردة الكبدية بالإضافة إلى أسباب أخرى نادرة

طرق العدوى والتشخيص

وعن طرق العدوى يقول الدكتور أيمن ينتقل فيروس الكبد A عن طريق الفم أما فيروسا B وC فينتقلان عن طريق نقل الدم والوخز بالإبر والمعاشرة الجنسية وخاصة B ويتم تشخيص المرض عن

كلفة علاج المرض شهريا تصل إلى ٦ آلاف درهم شهريا بجانب بعض الفحوصات اللازمة للمريض

طريق عمل تحاليل وظائف الكبد أنزيمات الكبد ALT و AST ويتم عمل الأجسام المضادة إذا زادت الأنزيمات ويعتبر تحليل BCR هو الأدق الذي يبين كمية الفيروس في الدم.

العلاج

في المرحلة الحادة من فيروس A و٨٥٪ من مرضى فيروس B يشفى المريض دون علاج، أما مريض فيروس C إذا اكتشف في الحالة الحادة يبدأ العلاج بأدوية انترفيرون وريبا فيرين ويعالج مريض B بأقراص انتي فيرث عن طريق الفم.

٨٠ الفا

وعن تكلفة علاج مرض التهاب الكبد للحالة الواحدة يقول الدكتور ماهر خليل جلو تبلغ كلفة علاج هذا المرض شهريا حوالي ٦ آلاف درهم شهريا بجانب بعض الفحوصات اللازمة للمريض مما يكلفه سنويا ما يربو على ٨٠ ألف درهم مما يشكل عبئا ثقيلا على كاهل المريض.

وقال دكتور جلو إن المرضى المصابين بفيروس C أغلبهم من المصريين أما المرضى المواطنون فتغلب إصابتهم بفيروس B وأشار الى انه حتى الآن لا توجد خريطة جينة لهذا المرض ولم يكتشف الجين المسؤول عن هذا المرض وأكد قيام بعض التجارب لزرع الكبد في مستشفى زايد العسكري بالإمارات وحققت نتائج ايجابية

لا مانع من الزواج

وعن قدرة مريض الكبد على الزواج أكد انه لا مانع من ذلك شرط أن تكون هناك مصارحة بين الطرفين حتى يأخذ الطرف الآخر احتياطاته والتطعيمات اللازمة منعا لانتقال المرض إليه.

مصطلحات - عينة الكبد

يقول دكتور ماهر خليل ان عينة الكبد بمفهوم بسيط هي أخذ عينة صغيرة من النسيج الكبدي لا يتعدى طولها بضعة ملليميترات بواسطة ابرة مخصصة لذلك تحت تأثير مخدر موضعي وبعد الفحص بالموجات فوق الصوتية لتحديد الموضع المراد أخذ العينة منه، وبعد ذلك تفحص العينة تحت الميكروسكوب.ويتم طلب عمل هذه العينة غالبا فى المرضى الذين يعانون من ارتفاع الأنزيمات الكبدية، وهي تعطى صورة مباشرة عن حالة الخلايا الكبدية ومدى تأثرها بالفيروس وإصابتها بالتليف. وغالبا ما تسهم نتائج العينة الكبدية في تحديد مدى الحاجة والاستفادة المتوقعة من علاج الفيروس.

أنواع التهاب الكبد و مسبباتها:

ويفصل الدكتور ماهر ابراهيم انواع التهاب الكبد الى:

فتح علمي

أظهرت دراسة طبية أميركية إمكانية معالجة المصابين بتليّف الكبد الناجم عن الإفراط في تناول المشروبات الروحية والتهاب الكبد الوبائي. وأشارت الدراسة إلى أنه أصبح بالإمكان وقف نمو الندوب التي تتكون حول الكبد عن طريق وقف نوع معين من البروتينات التي ينتجها الجسم. وأظهرت الدراسة التي نشرت في مجلة «بلوس أونلاين» الأميركية، وأوردها «بي بي سي أونلاين» أمس إمكانية المساعدة في علاج المصابين بالحروق وأمراض الرئة أيضاً بنفس الطريقة. وعقبت الهيئة البريطانية لأمراض الكبد على هذه الدراسة وقالت إن إيقاف نمو الندوب على الكبد سيساعد في شفاء المصابين بهذا المرض. والطب عاجز تقريباً في الوقت الراهن عن وقف تلف الكبد باستثناء مطالبة المرضى بتغيير أسلوب حياتهم أو مكافحة الفيروس الذي يتسبب بالمرض. وقال الباحثون في كلية الطب التابعة لجامعة كاليفورنيا والذين قاموا بهذه الدراسة، إنهم نجحوا في ذلك عن طريق وقف إفراز الجسم لبروتين يدعى آر إس كي، وهو البروتين الذي ينتجه الجسم البشري بشكل طبيعي خلال مراحل شفاء الإنسان من الجروح والإصابات. فقد قام الأطباء بإجراء تجارب على مجموعتين من الفئران المصابة بتليّف الكبد، فأعطوا الأولى منها مادة كيماوية توقف إنتاج الجسم لبروتين آر إس كي، بينما لم تعط المجموعة الأخرى هذه المادة. وأظهرت التجارب أن المجموعة التي أعطيت هذه المادة اختفى لديها المرض بينما استفحل المرض أكثر لدى المجموعة الأخرى. وقالت الدكتورة مارتينا باك التي أشرفت على البحث إنها تعتقد أن العلاج يمكن تطويره أكثر إلى درجة إصلاح كبد المصابين بتلف الكبد.

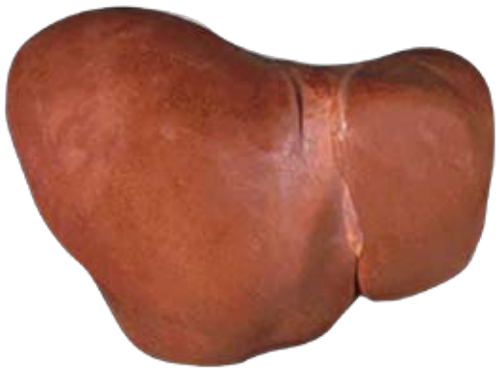

كبد سليم

تليف الكبد

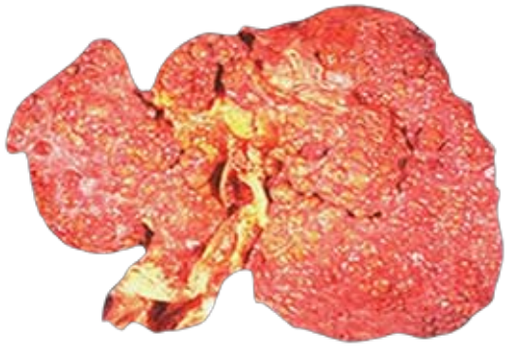

سرطان الكبد

- التهاب الكبد الوبائي، و يسببه الفيروس (HAV).
- التهاب الكبد الوبائي B، ويسببه الفيروس (HBV)
- التهاب الكبد الوبائي C، ويسببه الفيروس (HCV)
- التهاب الكبد الوبائي D، ويسببه الفيروس (HDV)
- التهاب الكبد الوبائي E، ويسببه الفيروس (HEV)
- التهاب الكبد الوبائي G، ويسببه الفيروس (HGV)

نصائح عامة

يقدم دكتور ايمن مرقولي بعض النصائح لتفادي مرض أمراض الكبد على النحو التالي:

- العناية بالنظافة الشخصية
- الالتزام الديني والبعد عن الحرام
- تجنب استخدام أدوات مريض الكبد الخاصة
- عدم التعرض للوخز عن طريق ابر مجهولة المصدر
- على المحجبات المصابات بالمرض تجنيب أفراد الأسرة استخدام دبابيس الحجاب
- الحامل المصابة بفيروس B تتابع مع الطبيب ويتم اعطاء الرضيع اجساما مضادة والتطعيمات

لمعلوماتك

يقول الدكتور خليل جلو هذه بعض المعلومات تبين بعض الحقائق المتعلقة بمرض الكبد

- بول الإبل والشطة لم يثبت بالدراسات العلمية أي ارتباط بينهما وبين علاج المرض
- الدهون لا تضر بالكبد الا في حالة الكبد الدهني
- فشل الكبد يؤثر على الأجهزة الحيوية الأخرى بالجسم
- المرضى المصابون بالكبد الفيروسي غالبا ما يصابون بالسكري
- لا يوجد علاج جذري لفشل الكبد حتى زراعة الكبد يعقبها مضاعفات
- الاوزون لم تثبت الدراسات العلمية نجاعته وأوقف العلاج به في مصر

التطعيم

يعطى التطعيم لفيروسي A و B فقط حيث لا يوجد مصل لفيروس C عن طريق الكتف الأيسر ويعطى للرضيع في سن ٢ و ٤ و ٦ شهور منذ الولادة اما الأشخاص الذين لم يتثن لهم التطعيم وهم صغار فيمكنهم أخذ المصل بنفس الطريقة حيث تعطى الجرعة الأولى ثم تليها الثانية بشهر ثم الثالثة ب ٦ شهور و ينصح بجرعة تنشيطية كل ٧ إلى ١٠ سنوات. فعالية التطعيم: إنه يحمى بنسبة تتعدى الـ٩٠٪ من الإصابة بالمرض وهو آمن لكن الناس بما فيهم الحوامل و الكبار في السن.

أعراض التليف الكبدى:

هناك بعض الاعراض التي تظهر على

المريض المصاب بتليف الكبد كالإعياء الشديد وفقدان الشهية، والغثيان والقيء وفقد الوزن و تضخم الكبد، وحصوات المرارة واصفرار ببياض العين، وتورم القدمين وانتفاخ البطن، سرعة النزيف.

اليرقان

تقول الدكتورة لويزا صالح صيدلانية هناك بعض الأدوية التي تؤدي إلى حدوث اليرقان وهو عبارة عن تغير لون الجسم والأنسجة وبياض العين بحيث يكون لونها ضاربا الى الاصفرار وينتج ذلك عن زيادة كمية البليروبين (تصفرن الدم) حيث لا يستطيع الكبد ان يفرز الصفراء الكافية ويتجمع البليروبين في الجسم ويؤدي الى حدوث يرقان فهناك حساسية خاصة لبعض الاشخاص اذا ما تناولوا عقاقير معينة ما يؤدي الى ظهور اعراض اليرقان عليهم مثل هرمون التستوستيرون أو عقار اللارجاكتيل وفي هذه الحالة يجب التوقف عن تناول هذه العلاجات.

وتأخذ الدكتورة هبة ماجد طرف الحديث وتشير الى ان هناك بعض الاطعمة والاعشاب المفيدة في علاج اليرقان مثل الجزر والكركم والزنجبيل والحبة السوداء وعسل النحل والصبر الاصلي والزعتر والمرمية والطرخشون وتوضح ان هناك عدة دراسات أثبتت فاعلية النبتة العشبية silymarin في الحفاظ على الكبد وهي متوفرة في الصيدليات تحت مسمى legalon ٧٠ . أما في حالة تليف الكبد، فيقدم العلاج لأكثر من مرض يتلازم معه: انتروفين للفيروس الوبائي وكوريتكو ستيروييد أو أية أدوية مثبطة للجهاز المناعي لعلاج الالتهاب الكبدي ويلجأ الأطباء إلى ما يسمى بشق الوريد (phlebotomy) حيث يتم سحب الدم من الجسم لتقليل معدلات الحديد، ومعظم أنواع العلاجات التي تقدم تكون موجهة لتداعيات المرض أكثر من علاجه لذا يوصي الطبيب بتناول الأطعمة القليلة في أملاحها أو الأدوية المدرة للبول لمنع احتباس السوائل التي تؤدي إلى الاستسقاء والملينات أيضاً هامة لإخراج السموم من الجسم.

رعاية خاصة

وعن تقبل المريض اجتماعيا واحتضانه يشير أيمن احمد سيف إلى أن المرض ابتلاء وامتحان من الله عز وجل وكلنا معرضون لذلك ومريض الكبد بحاجة إلى رعاية خاصة وعناية فائقة لأنه من الأمراض المزمنة التي يعاني منها صاحبها فترات طويلة ويجب مساعدة المريض في التعايش بيننا دون أن نزيد من معاناته وكأنه ليس بمريض ومراعاة تركيبته النفسية حتى لا نزيد من ألمه لان النواحي النفسية قد يكون لها انعكاسات ايجابية أو آثار سلبية على مجابهة هذا المرض وليس من الضروري أن نظهر له في تعاملاتنا أننا نشفق أو نعطف عليهم لان ذلك إحساس يقتلهم ويجب على من لديه مريض بهذا الوباء أن يلتزم تعليمات الطبيب ويقوم بإجراء الفحوصات اللازمة واخذ الدواء بانتظام وتوفير الأطعمة الطازجة والفواكه والخضروات التي يحتاج إليها وعدم استعمال أدواته الشخصية من فرشاة للأسنان او أي شيء يخصه لان هذا المرض ينتقل عن طريق هذه الأدوات التي تسبب العدوى.

أول زراعة كبد

تطورت زراعة الكبد بشكل كبير ومرت بمراحل عدة اولها المرحلة المخبرية وهي التجارب على الحيوانات في عام ١٩٥٥ على يد عالم أميركي اسمه (وولش) الذي بدأ زراعة الكبد في الكلاب. لكن أبو زراعة الكبد في العالم هو البروفيسور (توماس استارزل) بدأها العام ١٩٦١ في الولايات المتحدة الأميركية على ٧ حالات ولم تكن ناجحة بالقدر الكافي لأنهم توفوا بعد عام من اجراء العملية، لكن أول نجاح حقيقي لعملية زراعة الكبد كان عام ١٩٦٣ لطفل عمره ١١ عاما وكان يعاني من اورام الكبد وتم زرع كبد جديد له وهذا الطفل تعدى مرحلة السنة ومن هنا دخلنا في بدايات نجاح العمل لزراعة الكبد وهذه البدايات مرة بمراحل كثيرة متعلقة بالتكنيك (الآلية) ومراحل متعلقة بكيفية حفظ الكبد ومراحل متعلقة بالأدوات التي تستخدم في الزراعة والأخطر من ذلك مثبطات المناعة حتى لا يرفض الكبد من الجسم.

أرقام

يوجد ٥٠٠ مليون شخص مصابون بأمراض الكبد على مستوى العالم بينهم ١٧٠ مليونا مصابون بالنوع سي، ويصاب بالمرض سنويا من ثلاثة الى اربعة ملايين شخص، وقد أظهرت الأبحاث أن٤٠٪ من مرضى تليف الكبد معرضون للإصابة بأورام الكبد. عربيا تعتبر مصر من أكثر الدول الذي ينتشر فيها المرض وأورام الكبد تمثل٥٪ من مشاكل الكبد فيها واكد حاتم الجبلي وزير الصحة المصري ان مصر بها خمسة ملايين مريض بفيروس سي ومن أهم عوامل الخطورة التي تؤدي للإصابة بسرطان الكبد فيروسات الكبد سي وبي، إضافة لعوامل أخرى مثل المبيدات الحشرية ومادة افلاتوكسين التي تتكون على الحبوب المخزنة بطريقة غير صحيحة وإدمان الكحوليات والإصابة بالسمنة والسكر وترسب الدهون بالكبد والتدخين وفي المملكة العربية السعودية هناك نصف مليون نسمة مصابون بالمرض ويعتبر النمط الجيني ٤ الأكثر شيوعاً في السعودية..وفي الامارات تقول منظمة الصحة العالمية انه لا تتجاوز نسبة حاملي الفيروس سي ٠.٨٥٪.

من بلاغة سورة الكوثر

د. محمود أحمد الزين - كبير باحثين - مدير مشروع حماية اللغة العربية - دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري - دبي

وفي سورة الكوثر التي هي أقصر سورة في القرآن وقع بها التحدي كانت المناسبة أن بعض المشركين وهو العاص بن وائل السهمي عيّر النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أبتر (أي يموت اسمه فلا يذكر) إذا مات لأنه ليس له ذرية من الذكور فكان أصل المعنى الذي تستدعيه هذه المناسبة أن يخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه لن ينقطع ذكره ويكون ذلك معجزة تثبت حكماً ثابتاً يستمر على الزمن المستقبل لا يعرفه الخلق كله وذلك كاف في إعطاء المناسبة حقها لكن الآية زادت على ذلك أموراً اختلف بها المعنى اختلافاً كبيراً وزاد أثره على هذا الذي افترضناه زيادة تفوق التوقع وتمنح الكلام قوة وعمقاً

فأول ذلك أن هذه السورة لم تبدأ بقضية الخصومة وجوابها بل بدأت ببشرى عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون أول ما يسمعه هو عظمة كرامته على ربه سبحانه وتعالى على عكس ما يلقى من الجاحدين ومضمون البشرى نقيض إساءتهم وأكدت البشرى تأكيداً قوياً حتى أمرته صلى الله عليه وسلم بالشكر لربه عليها كما تشكر النعم الحاصلة في الواقع تماماً فإذا بدأ بعد ذلك الدفاع بدأ بعدما ذهبت آثار الأذى، ثم إن السورة أضافت خبراً آخر يزيد كبت الخصم وهو أنه سيكون أبتر جامعاً لأطراف هذه الصفة البغيضة كاملاً فيها مختصاً بها دون رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن شانئك هو الأبتر) وإنما دل لفظ الأبتر على ذلك لأنه معرف بأل الدالة على استغراق الصفة كما يقال زيد العالم ثم جعلت الإخبار عن كونه الأبتر هو الدلالة الصريحة للعبارة بينما جعلت نفي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم مفهوماً من أسلوب القصر (إن شانئك هو الأبتر) أي هو لا أنت وهذا إيجاز أي جعلت الرد على قوله قضية ثانوية ليكون قوله في حيز الإهمال ثم أكدت القضية كلها بثلاث مؤكدات: (إنّ) وضمير الفصل واستعمال الجملة الاسمية " إن شانئك هو الأبتر " و لأنها اسمية هي تعطي حكماً مطلقاً على من اتصف بشنآنه أي بغضه صلى الله عليه وسلم لا يقيده زمان من أزمنة الجملة الفعلية لو عبر بالفعل الماضي أو المضارع، ثم لم تذكر الآية اسم هذا الخصم بل كنت بذكر صفته دون اسمه إهمالاً له واحتقاراً فذكرت صفته (شانئك) وأفادت بذلك زيادة فوق الحكم عليه بالبتر هي الحكم على كل شانئيه صلى الله عليه وسلم بالبتر لا على هذا الخصم خصوصاً، وأفادت بذلك بياناً لسبب هذه العقوبة لا يظهر لو قيل " إن العاص بن وائل هو الأبتر " أما الحكم على صاحب الصفة المعينة وهي الشنآن للنبي صلى الله عليه وسلم فيدل على أن هذه الصفة هي سبب لهذا الحكم كأنه قال سبحانه وتعالى: (إنا جعلناه أبتر لأنه شانئ لك) وفي ذلك تكريم له صلى الله عليه وسلم وكتب لخصمه وقد جاءت هذه الجملة مستأنفة بلا عطف لتكون حكماً بارزاً مستقلاً إذ هي المقصود الأساس في الدفاع عنه وتطييب قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم .

هذه السورة لم تبدأ بقضية الخصومة وجوابها بل بدأت ببشرى عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون أول ما يسمعه هو عظمة كرامته على ربه سبحانه وتعالى

وكل هذه المعاني جمعتها أربع كلمات " إن شانئك هو الأبتر " وقد وقعت كل هذه الأخبار المعجزة فأعلى الله ذكره وأدامه حتى ملأ الزمان والمكان وأمات ذكر شانئيه حتى نسيهم الناس إلا من اللعنات .

وزيادة في تعميق معنى التكريم للنبي صلى الله عليه وسلم وتطييب قلبه مما قاله الخصم وزيادة في الإعراض عن الخصم أخرت هذه القضية وجاءت مسبوقة ببشرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم كبيرة عظيمة وقد جعلت هذه البشرى مطلعاً وبداية للسورة لتكون أول ما يقع في سمعه صلى الله عليه وسلم ولكي تشغل بسرورها قلبه الشريف عن ذلك الأذى الذي رمي به حتى في حالة الرد على قائليه، هذه البشرى هي إعطاؤه يوم القيامة نهر الكوثر وفي التعبير عن هذه البشرى أمور عدة تعمّق الغرض منها وتقويّه .

فالكوثر لفظ مأخوذ من الكثرة المناقضة للبتر الذي زعمه الخصم وهو بوزن "فوعل" من صيغ الأسماء الجامدة التي تستعمل عند إرادة المبالغة ولذلك فُسر بأنه المفرط في الكثرة وهو معرف بأل الدالة على كمال معنى الكثرة ليكون شاملاً لها مستغرقاً لأنواعها وكونه في الآخرة تأكيد لدوام ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ورفعته لا على الخصم وأضرابه بل على عظماء الأنبياء والمرسلين حين يجتمع الخلق أجمعون وهذا النهر قد أعده الله عز وجل لتشرب منه أمته صلى الله عليه وسلم وآنيته التي يشرب بها الناس عدد نجوم السماء فيكون الشاربون منه كذلك وهو معنى ينقض البتر ويقتلعه من جذوره ولفظ الكوثر دال بحروفه وصيغته على شمول كل خير كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن معنى الكوثر فقال: هو الخير الكثير فقيل له: إن غيرك يقول هو نهر في الجنة فقال: ذلك من الخير الكثير.

أي هذا جزء من هذا فلا تعارض بينهما وهذا من عمق فهمه للقرآن رضي الله عنه وإنما اقتصر كثير من المفسرين على ذكر النهر تعييناً لأنه ثبت ذكره في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنه يتناسب مع غرض السورة وهو مقابلة البتر بكثرة الأتباع لا بكثرة الذرية التي يتباهى بها أهل الجاهلية وكيف يرد عليهم بغير كثرة الأتباع وهو ينعى عليهم الفخر بكثرة الأهل والعشيرة فيقول: " ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر " وهذا لا ينفي أن يكون آله وعشيرته كثيراً ولكن هم جزء يسير من أمته صلى الله عليه وسلم.

وزادت هذه البشرى عظمة بعظمة معطيها ولذا لم تقل الآية " أعطيتك الكوثر " بل قالت " أعطيناك الكوثر " بنون التعظيم وفي هذا أيضاً تأكيد ثبوت البشرى لأنها عطية من لا يخلف الميعاد وزادت الآية تأكيد ذلك بتقديم ضمير المعظم نفسه على الفعل والتقديم يفيد لفت النظر إلى الفاعل كأنه قال: نحن أعطيناك لا غيرنا.

ولمناسبة هذا التوثيق لم تأت البشارة بصيغة الفعل المضارع الدال على الاستقبال مع أنها مما يكون في المستقبل بل جاءت البشارة بصيغة الماضي (أعطيناك) فهذا الحكم ثبت وقضي فلا مرد له وإن كان وقوعه سيأتي في المستقبل ثم أكد الخبر كله بدخول (إن) المؤكدة وجعل الجملة اسمية بتقديم الضمير" إنا " على الفعل

وتكميلاً لإظهار هذا التكريم دعت السورة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إظهار الابتهاج به وذلك بنسيان الخصوم والانشغال عنهم بشكر الله تعالى على هذا التكريم صلاة لربه ونحراً للضحايا ابتغاء وجهه وحده .

خلافاً لما عليه خصومه المشركون الذين خاصموه من أجل التوحيد وهذا من فائدة التصريح باسم ربه الذي يتقرب إليه كأنه قيل فصل لربك لا لما يتقرب إليه خصومك واثبت على ذلك ولا تبال بهم .

وحفاظاً على الإيجاز اقتصر على لفظ الأمر الثلاثي في الفعلين وعطف أولهما " فصلّ " بالفاء لإفادة أن هذه النعمة الكبرى من حقها أن يترتب عليها التقرب بالعبادات فهي جديرة بالشكر واقتصر على الصلاة والنحر من بين العبادات لأن المقام مقام إيجاز ولأنهما من أعظم أعمال الشكر إذ الأولى أقوى ما يعبر عن التعظيم

دعت السورة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إظهار الابتهاج به وذلك بنسيان الخصوم والانشغال عنهم بشكر الله تعالى

له سبحانه والثانية خير ما يقدم للفقراء والمحرومين وحذف من الثاني مفعوله ومجروره لأن الأصل أن يقال (وانحر الأنعام لربك) ولم يقل (انحر كثيراً أو أكثر من النحر) مع أن كثرة النعمة تتطلب كثرة الشكر، لأن هذا يفهم من ذكر النحر وهو خاص بالإبل والبقر وكل واحدة منهما تعدل سبع شياه، ومع أن الضأن أفضل من غيره. وهو هنا مقصود مع الإبل والبقر. ذكر النحر على وجه التغليب على لفظ الذبح الخاص بالشاء شرعاً وهذا الاقتصار استدعاه قصد الإيجاز الذي بنيت عليه السورة .

وفي لفظ الرب دون لفظ الإله في هذا الموضع تناسب مع الغرض أي صل لمن يرعاك ويكرمك ويحوطك من الخصوم فهو جدير بالشكر ولأجل ذلك جاء لفظ الرب اسماً ظاهراً خلافاً لما جاء قبله حيث عبر سبحانه عن نفسه بضمير المتكلم ليراعي ذلك المعنى بهذا الالتفات - فوق ما يفيده الالتفات من التنبيه ولفت الأنظار - وقد صرح بلفظ الرب مضافاً إلى ضمير خطاب النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه مفهوم من حال النبي صلى الله عليه وسلم وذلك التصريح مقصود به توجيه طلب الشكر

جاءت الآيات الثلاث مختومة بحرف الراء وهذا السجع يعطي السورة ترابطاً أكثر

إليه صلى الله عليه وسلم تبعاً لتوجيه البشارة " أعطيناك " الذي قصد به الاشعار بقربه صلى الله عليه وسلم من ربه جاءت السورة كلها موجهة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بكاف الخطاب لتكون البشارة أقرب وأسرع وأقوى تأثيراً كذلك والدفاع عنه صلى الله عليه وسلم كذلك .

وقد جاءت الآيات الثلاث مختومة بحرف الراء وهذا السجع يعطي السورة ترابطاً أكثر كلما ختمت منها آية كان حرفها الأخير مذكّراً بالتي قبلها جاعلاً السورة كلها سبيكة واحدة يوحدها الجرس الواحد كما وحدها إحكام النظم والراء حرف مجهور قوي يقرع السمع قرعاً فينبه المخاطبين إلى معاني الآيات الثلاث كلاً على حدة ثم ينبه المخاطبين إلى القضية الكلية التي أعلنتها هذه السورة الكريمة .

فجلّ الذي نزل هذه السورة ما أحكم وما أعظم كلامه ! وأنّى لكلام البشر أن يسموَ فيدانيَ كلامه المعجز

حاشا ..ثم .... حاشا... ثم ... حاشا .

حكم تعلم لسان العرب

كان تدوين الكتب قد نشأ وترعرع في أمة الإسلام مع نزول القرآن وتدوينه ومنه نشأت العلوم ودونت وتفرعت، وكان تفسير القرآن من أقدم العلوم التي بدأ تدوينها كالذي كتبه تلاميذ سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وكان علم أصول الفقه الذي تبنى عليه أحكام الشرع ويفهم به القرآن والسنة معروفة مسائله في الصدور وان كانت لم تكتب في السطور إلى وقت متأخر بعض الشيء، وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه أول من خصه بالتأليف في أواخر القرن الهجري الثاني وذلك في رسالة بعثها إلى الإمام عبد الرحمن بن مهدي، ولذلك سُمي هذا الكتاب«الرسالة».

وقد اهتم الإمام الشافعي رحمه الله ببيان أهمية معرفة اللسان العربي وفرق بين حاجة كل فرد مسلم إلى هذه المعرفة وحاجة من يريد علم فهم القرآن الكريم والسنة النبوية ومعرفة حكم الله فيها فقال عن القسم الأول - في الرسالة (ص ٤٨): «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك».

وذلك لأن هذه المذكورات عند الشافعي من فرائض الدين على كل فرد ولا يمكن أداؤها إلا باللسان العربي، وكل شيء توقف عليه حصول الفرض صار فرضاً.

ثم قال رحمه الله عقب ذلك:

«وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيراً له كما عليه أن يتعلم الصلاة والذكر فيها ويأتي البيت وما أمر بإتيانه ويتوجه لما وجه له ويكون تبعاً فيما افترض عليه وندب إليه لا متبوعاً».

وفي هذا الكلام من أحكام الله شيئان:

اولهما: أن تعلم لسان العرب فيما زاد على المقدار الذي هو فرض عين خير للمؤمن يؤجر عليه وإن لم يكن هذا الزائد فرضاً.

ثانيهما: أن من اقتصر على هذا المقدار فهو في أمور الدين تابع لا متبوع لأن هذا المقدار لا يؤهله لمعرفة الأحكام من الكتاب والسنة بنفسه فلذلك هو تابع لا متبوع أي يتبع فهم العلماء للكتاب والسنة، أما المتبوع فله في كلام الشافعي رحمه الله بيان خاص لما يحتاجه من اللسان العربي، فقال في الرسالة (ص٥٠): «لا يعلم من إيضاح جمل الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها».

ثم قال الشافعي في الرسالة (ص١٥):

«فإنما خاطب الله تعالى بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر... وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره... وتكلمُ بالشيء تعرّفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ كما تعرّف الإشارةُ ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها... وكانت هذه الوجوه... في معرفة أهل العلم منها به... معرفة واضحة عندها ومستنكرة عند غيرها ممن جهل هذا من لسانها - وبلسانها نزل الكتاب وجاءت السنة - فتكلف القول في علمها تكلف ما يجهل بعضه».

ثم بين رحمه الله حكم من تكلم في بيان معاني القرآن وهو يجهل هذه السعة في لسان العرب فقال في الرسالة ﴿ص ٣٥﴾: «ومن تكلف ما جهل وما لم تثبته معرفته كانت موافقته للصواب - إن وافقه من حيث لا يعرفه - غير محمودة والله أعلم، وكان بخطئه غير معذور إذا نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه».

فتاوى مختارة

إدارة الإفتاء

أذية الأم من أكبر الكبائر

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه:
ما حكم من يسلط أولاده الشباب على أمهم، فهل لهم رقابة على أمهم؟ وجزاكم الله خيراً.

الجواب وبالله التوفيق:

هذا الفعل من الإعانة على الإثم والعدوان، لأنه يعين أبناءه على عقوق أمهم، والعقوق من كبائر الذنوب كما قال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً. قلنا: بلى يا رسول الله؟ قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...) الحديث.

والعقوق هو كل أذى يتأذى منه الوالدان أو أحدهما وهو ضد البر والإحسان اللذين أمر الله تعالى بهما، وأمر بهما الرسول صلى الله عليه وسلم في أدلة لا تحصى كثرة.

والواجب على هؤلاء الأبناء أن لا يسمعوا كلام أبيهم فيما يُلحق أذىً بأمهم، لأن أمرهم بذلك معصية، ولأن أمهم آكد بالحق والرعاية والإحسان من الأب، فهي التي حملت وهناً على وهن، والتي حملت كرهاً ووضعت كرها، والتي جعل لها النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة حقوق مقابل حق واحد للأب كما هو معلوم، ولذلك نهى عن عقوقها بالخصوص كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات ووأد البنات....) الحديث.

وإنما خصهن بالذكر لأن عقوقهن أشد قبحاً من عقوق الأب، لضعفهن وعدم قدرتهن على أخذ حقهن لأنفسهن بأيديهن كما قد يفعله الأب.

فعلى الأبناء أن يتقوا الله تعالى في أمهاتهم، وأن يخشوا مصيرهم إذا لقوا ربهم، بل إن الله تعالى يعجل عقوبة العاق في الدنيا قبل الآخرة كما قال عليه الصلاة والسلام: (كل الذنوب يؤخر الله تعالى ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة الدنيا قبل الممات). كما أخرجه الطبراني والحاكم من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وعادة الله في ذلك معلومة لاتخفى على العقلاء. والله تعالى أعلم.

حكم جلوس الحائض والجنب في المسجد

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه:
هل يجوز جلوس الحائض في المسجد للتعلم أو التعليم أو لغيره؟

الجواب وبالله التوفيق:

الذي ذهب إليه الأئمة الأربعة أن المكث في المسجد حرام على الجنب ومثله الحائض وكذا قرآة القرآن، ومس المصحف... واختلفوا في العبور فيه، كأن يدخل من باب ويخرج من آخر. واستندوا في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون، ولا جُنباً إلا عابري سبيل ﴾.

والمراد بالصلاة موضعها وهو المسجد الذي تكون فيه الصلاة وكذا فعلها، كما ذهب إليه أهل التأويل، فذكر الصلاة مجاز مرسل، من ذكر الحال وإرادة المحل، فنهت الآية عن إتيان المساجد حالة السكر أو الجنابة، لما في ذلك من امتهان لهذه الشعائر التي أذن الله تعالى أن ترفع ويذكر فيها اسمه، والجنب ليس أهلاً للعبادة من صلاة أو قراءة قرآن، كما جاء في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها عند أبي داود: (وجهوا هذه البيوت عن المسجد فإني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب).

والحديث وإن كان ضعيفاً لكنه ليس شديد الضعف فيحتج به، إذا لم يكن في الباب غيره كما هو نهج عامة الفقهاء، لاسيما وأنه يقوِّي دلالة الآية، وقد ذهب إلى هذا المعنى جمهور أهل العلم من المذاهب الأربعة. وإنما اختلفوا في العبور، فأجازه الشافعية والمالكية لظاهر الآية، وأجازه الحنابلة للحاجة فقط، ومنعه أبو حنيفة وأصحابه لظاهر الحديث السابق، وحديث الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: (يا علي لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك).

والحائض في كل ذلك كالجنب لأنها صاحبة حدث أكبر، فتمتنع مما يمتنع منه الجنب من قراءة ومس مصحف، ودخول مسجد، زيادة على امتناع استمتاع

زوجها بها بين السُّرة والركبة.

غير أن السادة المالكية لهم رأي في قراءة القرآن إذا كانت حافظة، فرأوا أنها إذا امتنعت من القراءة فترة حيضها أدَّى ذلك إلى نسيانها القرآن وذلك غير جائز، فأبيح لها للحاجة، وليس كذلك الجنب إذ بإمكانه أن يرفع حدثه بغسل أو تيمم، بخلاف الحائض، ولكنهم مع ذلك لم يجوزوا لها المكث في المسجد.

والذي أراه في هذه المسألة أن مذهب السادة المالكية هو المذهب الوسط الذي تشتد الحاجة إليه ولاسيما للطالبات أو المعلمات، خصوصاً في أيام الاختبارات.

أما المكث في المسجد فليس ضرورياً، ولو كان بحجة التحفيظ، إذ يمكن أن يكون التحفيظ في غير المسجد، وإن كان في المسجد، ينبغي أن تعذر صاحبة الحيض من الحضور أثناء دورتها، وتتعاهد حفظها في بيتها إن ترخصت بمذهب السادة المالكية، وإذا ما كان الوقت وقت اختبار دخلت للضرورة كالعابرة وتسمِّع وهي واقفة ثم تنصرف.

وذلك عملاً بمثل هذه النصوص الشرعية، وحفاظاً على قدسية مساجد الله تعالى. والله تعالى أعلم.

حكم ما فات من صلوات

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه:
امرأة فاتتها الصلاة لعدة سنوات... كيف لها تأدية هذه الصلوات ؟

الجواب وبالله التوفيق:

يجب عليها أن تتوب توبة نصوحاً عن هذا الترك والتأخير للصلاة، كما يجب عليها أن تقضي صلوات هذه المدة، وذلك بأن تتفرغ لها حتى تفرغ من قضائها، فإن لم يمكنها ذلك فلا حرج أن تصلي مع كل فريضة صلاةً فائتة. أو أن تصلي كيفما تستطيع من عدد كل يوم حسب فراغها حتى تقضي فوائتها كلها ؛ لأن الصلاة حق الله تعالى، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (اقضوا الله فالله أحق بالوفاء) كما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، هذا ماذهب إليه جمهور أهل العلم، وتجب مع ذلك التوبة النصوح من هذا الذنب ؛ لأن ترك الفرائض من كبائر الذنوب كما قال الله: ﴿ فخلف من بعدهم خلْف أضاعوا الصلاة واتَّبعوا الشهوات فسوف يلقون غَياً، إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون شيئاً ﴾.

فالتوبة واجبة للخروج من الإثم، ولا تتحقق إلا بقضاء الصلاة والندم على ما فات والعزم على عدم العود إلى مثل ذلك، وعليها مع ذلك أن تكثر من التطوع فلعل ذلك يعوض ما فاتها من الفضل كما ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال: (أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئاً قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة).. الحديث كما أخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. والله تعالى أعلم.

حكم شراء الذهب نقداً بواسطة الإنترنت من غير تقابض

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه:
هل يجوز شراء المجوهرات الذهبية عن طريق طلبها ودفع قيمتها بواسطة الإنترنت ثم استلامها عن طريق البريد ؟ و جزاكم الله خيراً .

الجواب وبالله التوفيق:

لا يجوز بيع الذهب وشراؤه بالصورة المذكورة في السؤال، لأن الذهب جنس ربوي، فإذا بيع بربوي كالدولار أو الدرهم أو نحوهما من النقود، وجب فيه الحلول و التقابض لقوله عليه الصلاة والسلام: (الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد) كما أخرجه مسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. وما يجري في صورة السؤال لا يحصل معه التقابض، وبذلك يكون البيع من بيوع الربا المحرمة والباطلة شرعاً .

ويمكن أن يستغنى عن هذه المعاملة بمعاملة أخرى صحيحة، وهي أن يكون لبائع الذهب وكيل معتمد في محل بلد المشتري، فيطلب الوكيل إرسال الذهب إليه بناءً على وعد تلقاه بالشراء، ثم يقوم الوكيل بعقد الصفقة مع المشتري يداً بيد، أو يكون للمشتري وكيل في بلد البيع، فيبعث إليه بماله ليشتري له الذهب المطلوب يداً بيد، ثم يبعث به إليه .

وبذلك يحصل المقصود ويخرج الجميع من بيع الربا الذي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم آكله وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: (هم سواء) كما أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه.

والذي آذن الله متعاطيه بالحرب حيث قال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾. والله تعالى أعلم

السحر

أ. حمزة بدر الدين - باحث في الدراسات الإسلامية - جامعة طنطا - مصر

السحر معناه في اللغة: الشيء الخفي الذي لا يعرف سببه، ويكون له تأثير على الآخرين.

ومنه الحديث الشريف: «إن من البيان لسحراً» لأن البيان هو الكلام البليغ يؤثر على السامع ويسيطر عليه دون سبب واضح ملموس.. ومنه أيضاً: حر العيون.

هل السحر حقيقة أو هو مجرد خيال... بعبارة أخرى: هل فسر ما يحدث لبعض الناس من تأثيرات سحرية بوجود شيء حقيقي اسمه: السحر، موجود وله كيان واقعي في دنيا الناس كما توجد الجراثيم أو الكائنات الخفية.. أو أن لسحر ليس إلا تخاطباً مع خيالات وأوهام وإيحاءات.. وأن هذه الآلام أو الأمراض أو الأوجاع نتيجة تخيلات واضطرابات شعورية لا أكثر ولا أقل.

وبعض العلماء يقول: إن السحر حقيقة موجودة بالفعل، بمعنى أن الساحر يحدث شيئاً في الواقع، وهذا الشيء ينتقل إلى الإنسان عن طريق أكل أو شرب أو لمس أو أية وسيلة من وسائل الاتصال أو المس الجسدي.

فيحدث هذا الشيء الآثار الضارة أو غير الضارة، كأن يسبب في الجسم آلاماً وأوجاعاً، أو يحدث في القلب ميلاً أو محبة أو كرها أو بغضاً... وما شابه ذلك.

وبعض العلماء يرى أن السحر لا حقيقة له، ولا يوجد شيء محدد في واقع الناس وخاصة إلحاق الأضرار بالآخرين. والمسألة كلها تعامل مع إيحاءات نفسية يجسدها خيال المسحور ويتعامل معها على أنها واقع.

وذلك مثل: ظاهرة السراب.. التي يراها الإنسان رأى العين ولا يشك لحظة في أي عين نرى ماء على مسافة معينة، وأن هذا الماء تتلألأ عليه أشعة الشمس لكنه لو ذهب إلى هذا الموضع فإنه لا يجد ماء.

والإمام أبو حنيفة رضي الله عنه ينكرون أن يكون للسحر حقيقة موضوعية خارجية..

وربما كان رأي أقرب إلى الصواب لسببين:

الأول: أن بعض آيات القرآن الكريم تشير إلى أن السحر تخيل، وأن الساحر يسحر العيون فيجعلها ترى شيئاً، لكن هذا الشيء ليس إلا صورة في عين المسحور.. أما في الواقع فلا أثر لهذه الصورة..

يقول تعالى: من سحرة فرعون: (سحروا أعين الناس).. كأن مسرح العملية السحرية هو العين والبصر لا الواقع. تماما كظاهرة السراب.. أيضاً: قوله تعالى: (قال بل ألقوا: فإذا حبالهم وعصيهم، يُخَيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى) (سورة طه، الآية: ٦٦،٦٧)

تلاحظ أن القرآن يقرر أولاً: أن الجبال والعصى في الواقع لم تتحرك، ولكن موسى- عليه السلام- تخيلها متحركة.. ورغم أن السحر هنا خيال في خيال إلا أنه أثر بصورة أو بأخرى على سيدنا موسى (فأوجس في نفسه خيفة موسى).

الأمر الثاني: أن السحر نفسه في بعض عروضه السحرية يحرص على ألا تستقر عينك كثيراً على غرائب الأمور التي يأتي بها، وتنتقل مسرعة إلى غيرها وهكذا.. وأنا أتساءل ك إذا كان الساحر قادراً فعلاً- كما نرى في بعض الحلقات – على أن يستخرج «أرنباً» مثلاً من ورقة أو من حائط.. فلماذا لا يجلس في بيته ويكون مزرعة أرانب تغنيه عن عناء مهنته ويكتسب منها بأكثر وأفضل من مهنة السحر!!

إن هذه الأرانب ليست أكثر من صورة في عيون الناس، ولو رحت تلمسها أو تمسك بها فسوف تقبض هواءً...

على كل حال سواء قلنا مع بعض العلماء أن السحر حقيقة مجسدة، أو قلنا مع بعض الآخر: أنه تخيل وتصور عن المتفق عليه إن السحر يحدث أضراراً بالناس، تتعلق بأجسادهم أو أرواحهم وعقولهم... ولهذا السبب بالذات حرمه الإسلام تحريماً قاطعاً وذمه القرآن الكريم وحذر منه النبي صلى الله عليه وسلم بل حذر من التصديق به: (ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر)

(من أتى كاهناً أوعرافاً بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)، (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم يقبل الله له صلاة أربعين يوماً)

وتعلم السحر حرام للتمويه على الناس تخيلهم حرام، اللهم إلا إذا كان القصد إزالة سحر عن شخص مسحور.

وإذا تعوذ الإنسان بالله صباحاً ومساءً وبالدعاء المأثور، وصلى، وقرأ شيئاً من القرآن، وعلم أن الساحر لا يضر ولا ينفع إلا بشيء قد قدره الله تعالى، فإنه لاشك يصعب على أن ساحر أن يؤثر عليه.

والإسلام يحذر من الذهاب إلى السحرة والمشعوذين ويمنع المسلم من تصديقهم... وعلى المسلم أن يعالج نفسه بنفسه بالاعتقاد بأن السحر وقوع في حبائل الأوهام، وأنه يستطيع بحول الله وقوته أن يقوي إرادته ويطرد عنه هذه الآلام والأوجاع، وأيضاً بالذكر والدعاء، وقراءة القرآن.. وخاصة وأن التجارب تدلنا على أن المترددين على هؤلاء المشعوذين لا يزدادون إلا مرضاً واضطراباً. وبعض يدخل به المرض من متاهات جديدة بعد أن تتملكن منه الأوهام وبعد أن يفقد أمواله وربما أشياء أخرى عند هؤلاء الدجالين.